دروس قرآنية

في تزكية النفس وتكاملها

دروس قرآنية

في تزكية النفس وتكاملها

تأليف:

العلامة السيد عبدالكريم الحسيني القزويني

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار السيدة رقية للقرآن الكريم

اسم الكتاب: ..... دروس قرآنية في تزكية النفس وتكاملها

تأليف: .....العلامة السيد عبدالكريم الحسيني القزويني

الإخراج الفني: .....عباس الجعفري

الناشر: ..... دار السيدة رقية عليها السلام للقرآن الكريم

الطبعة الثالثة: ..... ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ قم المقدسة

www.qazvini.org

Email: info@ruqayah.net

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

السير نحو التقدّم والتكامل في كلّ نواحي الحياة أمر مطلوب عقلاً وشرعاً، فالطالب في دراسته يسعى إلى الرقي والتقدّم والتاجر في تجارته يسعى لهذا الهدف، وكذا المزارع والموظّف والإداري، وهكذا كلّ العقلاء على مختلف مستوياتهم ينشدون ويسعون نحو تحقيق هذا الهدف.

فالإنسان المؤمن هو أيضاً يتطلّع لهذا الأمل، ويسعى لتحقيقه والوصول إليه؛ لأنّه كلّما اقترب الإنسان من الله ابتعد عن الشيطان، فإذا اقترب الإنسان من الله ٥٠٪ أو ٨٠٪ أو ١٠٠٪ ابتعد اوتوماتيكياً عن الشيطان بهذه النسبة وهكذا العكس، فكلّما اقترب الإنسان من الشيطان ٥٠٪ أو ٨٠٪ أو ١٠٠٪ يبتعد عن الله بمثل ما اقترب من الشيطان.

والإنسان المقترب من الله تصبح لديه خشية من الله في قلبه، وفي هذه الحالة تنعدم عنده المعصية والجريمة، ويصبح ملاكاً طهوراً على وجه الأرض.

وهذا الكتاب هو دروس ومحاضرات قرآنية سبق أن ألقيتها على أبنائنا وطلابنا في مراحل زمنية متعدّدة، فأحببت أن أجمعها وأضمّها في كتاب واحد، حتى يعطي ثماره ونتاجه، وهو دراسة مختصرة بأُسلوب سلس يفهمه عامّة الناس لتقرّبهم إلى الله تعالى وتبعدهم عن الشيطان، فإنّه كفيل بإيصال الناس إلى خالقهم وارتباطهم به، ومن هذا المنطلق نحن على أتمّ الاستعداد للإجابة على أسئلة القرّاء الكرام عن طريق الفاكس أو البريد الألكتروني:

www.qazvini.org

عبدالكريم الحسيني القزويني

-١-

المدارس

في تزكية النفس وتكاملها

المدارس في تزكية النفس ونظرياتها

الإسلام دين التربية لخلق الإنسان المؤمن على وجه الأرض؛ لأنّه يريده أن يكون خليفةً في الأرض، فلابدّ للمؤمنين به والمعتقدين بشريعته أن يكونوا على المستوى المطلوب الذي يريده لهم الإسلام، والإنسان الذي يطلبه ويريده الإسلام هو أن يكون له شخصية إسلامية ذات طابع تميّزه عن غيره من الشخصيات؛ وذلك لا يكون إلاّ إذا فهم الإنسان المسلم الحياة والمدارس التي تنظر إليها والنظريات التي تؤمن بها، ولا سيّما النظرية الإسلامية؛ حتّى يتّخذ الموقف السليم منها، ونحن نبحث باختصار هذه المدارس ونظرياتها، ونقتصر على ما يلي:

١ ـ النظرية المادية.

٢ ـ النظرية الصوفية.

٣ ـ النظرية الإسلامية.

وسوف نشرح باختصار وإيجاز هذه النظريات الثلاث:

الأولى: النظرية المادية:

تعتمد النظرية المادّية في نظرتها على المادّة والمادّيات وترفض كلّ ما هو خارج عن هذا المفهوم؛ لأنّها لا ترى غير هذه الحياة حياة أُخرى، ولا تؤمن بما وراء الحواس والتجربة والميتافيزيقيا.

نقدها

هناك نقاط الضعف وجّهت لهذه النظرية، وهي كما يلي:

١ـ إنّها في نظرتها قاصرة؛ لأنّها لا تتعدّى حواسّها في حين أنّ كثيراً من الأُمور لا تخضع للتجربة كالعقل، فهل يمكن لنا إنكاره مثلاً؟

٢ـ إنّ كثيراً من الأُمور لم تكتشف بعد، من قبيل الكثير من الكواكب والنجوم والكثير من المكروبات وبكتيريات لا يزال العقل الإنساني لم يتوصّل إليها ولم يكتشف وجودها، كما أنّه لم تستطع تجربة الإنسان وحواسّه أن تكتشف الكثير من القضايا إلاّ بعد تطوّر العلم ووسائله، فهل يمكن لأصحاب هذه النظرية إنكارها لأنّ الإنسان قبل عشرات السنين لم يتوصّل إلى اكتشافها؟ مع العلم إنّها كانت موجودة ولم تكن آنذاك خاضعة لحواس الإنسان ولا لتجربته، ولكن بتطوّر العلم ووسائله استطاع أن يكتشف كثيراً من غوامض الحياة وقد يكتشف في المستقبل كثيراً من مخفيات العلم التي لم تكتشف حتّى الآن.

٣ـ إنّ ضيق الأُفق والقصور الفكري لأصحاب هذه النظرية يمكن تمثيله بالجنين الذي في بطن أُمّه؛ لأنّه لا يرى ولا يمكن أن يتصوّر عالماً غير عالمه ولا محيطاً أكبر من محيطه؛ لأنّ فكره الضيّق القاصر لا يمكن له أن يتصوّر وجوداً أوسع من وجوده ولا عالماً أكبر من عالمه، ومثاله: الإنسان الذي يؤمن بالمَثَل المشهور: «ما وراء آبادان قرية»؛ لأنّ فكره قاصر محدود في عالم حواسّه، بينما هناك عالم أكبر وأوسع من حواسه وتفكّره.

٤ـ القرآن الكريم وصف أصحاب هذه النظرية في آيات متعدّدة وصفاً دقيقاً يكشف عن قصورهم الفكري وخمولهم الذهني ونظرتهم الضيّقة وأُفقهم القاصر. وإليك الآيات في حقّهم وبيان معتقدهم وأُفقهم وهي:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[١].

وعبّر أيضاً عن رأيهم بهذه الآية:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[٢].

وعبّر القرآن الكريم أيضاً عن أصحاب هذه النظرية بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣]

كما وصف الله هذا الصنف بقوله:

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٤].

الثانية: النظرية الصوفية المحضة:

العرفان والتصوّف من المعارف الإسلامية التي ينبغي للإنسان المؤمن التحلّي والتخلّق بها، ولكن بشكله الصحيح الذي كان عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وصحابته المتّقون والأئمّة من آله المعصومين عليهم السلام، هذا ما نفهمه من التصوّف الحقيقي.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٧ ـ ٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٠.

أمّا التصوّف الذي اتّخذ أشكالاً وأبعاداً وطقوساً جعلت معظم المتصوّفة يتّخذون طرقاً ملتوية وأساليباً مشوّهة، ممّا جعلهم ينظرون إلى الحياة نظرة سلبية معيّنة حتّى خيّل لبعضهم أنّ التصوّف معناه رفض الحياة والابتعاد عن ملذّاتها وزينتها، فهذا التصوّر بعيد كلّ البعد عن التصوّف الحقيقي الذي شوّه معناه وأُسيء فهمه وأُدخل فيه ممّا ليس من حقيقته ومعناه، ممّا جعل الدروشة أساساً لمفهومه، واتّخذ أشكالاً معيّنة وهياكل مميّزة للإنسان الصوفي في نظرهم، وهذا المفهوم الخاطئ عن التصوّف ونظرته للحياة ممّا يصطدم بالإسلام من نقاط عديدة.

١ ـ الإسلام يرفض الرهبنة والرهبانية بقوله تعالى:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[1].

٢ ـ إنّ بعض الأشكال والأساليب التي اتّخذت شعاراً للتصوّف حتّى أصبحت جزءاً لا يتجزّأ من التعبّد الصوفي ممّا ينطبق عليه عنوان البدعة، والبدعة في الإسلام منهيّ عنها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**كلّ بدعة ضلال وكلّ مبتدع ضال وشرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار**»[2].

إلى آخر ما جاء من النهي في هذا الباب من الأحاديث.

٣ ـ الإسلام نظرته للحياة نظرة إيجابية، فهو يرفض كلّ عمل يسيء الفهم

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٦.

(٢) كنز العمال: ٢٢١/١.

للحياة ومتطلّباتها؛ ولهذا نرى القرآن الكريم يندّد بأُولئك الذين يرفضون الحياة ويتّخذون السلبية للحياة شعاراً لهم، فقد قال الله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1].

٤ ـ إنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة من آله عليهم السلام وكذا الخلّص من أصحابه لم نرَهم يتّخذون طقوساً معيّنة وأعمالاً يقومون بها في تعبّدهم، كما هي عليه بعض الأعراف الصوفية التي قد اتّخذت كلّ طريقة لها طقساً وشكلاً خاصّاً بها، حتّى لا يمكن للإنسان الصوفي المنتمي للطريقة أن يقوم من دون ممارسة الطقس الخاصّ بها، وإنّ بعضهم التزم بالطريقة وترك الشريعة.

الثالث: النظرية الإسلامية للحياة:

الإسلام يعتبر الحياة مرحلة تمهيدية للآخرة؛ ولهذا لا يقف منها موقفاً سلبياً واعتبرها مزرعة للآخرة، وقد روي عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام في وصيّته لجنادة قائلاً له:

«**إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً**»[2].

فالمفروض بالإنسان المسلم والمؤمن أن يعمل في هذه الدنيا عملاً إيجابياً مثبتاً ومحكماً يؤتي ثماره كلّ حين، ويجدّ ويجتهد في إعمار الأرض وإصلاحها لأنّه خليفة الله في الأرض والله يريد من عباده التقوى والعمل الصالح، فقد قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤٦/١.

وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[١].

فالإسلام لا يتنكّر لهذه الدنيا وملذّاتها؛ بل يحثّ على إعمارها وتحصيل ملذّاتها بطرق مشروعة، ولكن بشرط أن لا يكون الإنسان أسيراً لها وأسيراً لشهواتها ونزواتها، فالدنيا يجب أن لا تملكه بل هو يملك الدنيا ويتصرّف فيها تصرّف المالك لها، ويستفيد من خيراتها فيخرج الواجب منها ويتجنّب المحرّم فيها. وقد عبّر عن هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«**ليس الزهد أن لا تملك شيئاً بل الزهد أن لا يملكك شيء**»[٢].

فالزهد والتصوّف في الإسلام ليس معناه أن لا تسكن قصراً مشيّداً، وليس معناه أيضاً أن لا تلبس لباساً نظيفاً ولا أن لا تركب سيارة ضخمة وفخمة، والإسلام يقول لك اسكن ما شئت والبس ما شئت واركب ما شئت شرط أن لا تكون أسيراً لها وهي لا تتصرّف بك كيف تشاء من الحرام؛ بل أنت المالك لها تتصرّف فيها تصرّف المالك، وفي نهج البلاغة نصّ يوضّح هذا المعنى الإيجابي للحياة ومتطلّباتها، وذلك لمّا دخل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أحد أصحابه وهو علاء بن زياد الحارثي يعوده في مرضه بالبصرة فلمّا رأى سعة داره قال له:

«**مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ بَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا**

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) الفوائد الرجالية: ٣٨/١.

الرَّحِمَ وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.

فقال له العلاء: يا أميرالمؤمنين، أشكو اليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليّ به. فلما جاء قال:

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ.

قال: يا أميرالمؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكَلك!

قال: وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»[1].

(١) نهج البلاغة، رقم ٢٠٩.

-٢-

كيف نبتعد عن المعصية؟

كيف نبتعد عن المعصية؟

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد أنبيائه وخاتم رسله سيّدنا وجدّنا محمّدﷺ وعلى آله الأئمّة القادة الميامين.

أخي القارئ:

ظهرت في الآونة الأخيرة على بعض مجتمعاتنا واجتماعاتنا بعض التسامحات اللاّ أخلاقية من الغيبة والنميمة والافتراء من بعضنا على البعض من دون مخافة وتورّع وتدقيق، وهذا ممّا يسبّب لنا أمراضاً نفسية وأزمة أخلاقية في قلوبنا، فتكون عشّاً لعناكب الشياطين وأقوال المفرّقين وطعمة للطامعين والمغرضين.

عوامل تفشّي هذه الأمراض:

١ ـ عدم التزوّد بالعلم النافع المؤثّر في الفكر والعمل.

٢ ـ عدم معرفة المعصية وتشخيص الذنب، ممّا يسبّب ارتكابها.

٣ ـ الاستهانة بالذنوب الصغيرة والإصرار على ارتكابها وتقليل خطرها في النفس، وهذا ممّا يؤدّي بالإنسان لاستعمال المعاصي وارتكاب الذنوب.

٤ ـ الابتعاد عن الله تعالى، وكلّما ابتعد الإنسان عن الله ولج في الذنوب ووقع في المعاصي.

٥ ـ القرب من الشيطان، وكلّما قرب الإنسان من الشيطان ابتعد عن الله وهانت عليه المعاصي وارتكب الجرائم.

ما هو علاج الأمراض؟

هذه بعض العوامل اليسيرة من الأمراض المعدية التي توقع الإنسان في المعاصي وارتكاب الذنوب، فإذا أراد الإنسان أن يتحرّر من قيودها وآثامها والتخلّص منها فلابدّ له من المبادرة للعلاج واستئصال هذه الغدد الشيطانية المتمركزة في النفس، وأمّا طريقة علاجها فبما يلي:

أ ـ التزوّد بالعلم النافع المفيد لنموّ فكر الإنسان وزيادة وعيه ومعلوماته.

ب ـ الاجتناب عن الذنوب الصغيرة ومعرفة خطورتها لأنّها تؤدّي بالإنسان إلى ارتكاب الذنوب والكبائر؛ لأنّ الإصرار على الصغائر يؤدّي إلى ارتكاب الكبائر، ومن المعلوم أنّ الإصرار على المعصية يُعدّ من الكبائر أيضاً، فإذا اجتنب الإنسان عن الصغائر ابتعد عن الكبائر.

ج: الابتعاد عن الشيطان وحبائله، فإنّه يُبعد الإنسان عن المعصية والذنب ويقرّبه من الله تعالى.

د: القرب من الله تعالى، لأنّ الإنسان إذا اقترب من الله ابتعد أُتوماتيكياً عن الشيطان ومعاصيه ووسائله، والابتعاد عن الشيطان هو بالملازمة يكون قريباً من الله، والقريب من الله يبتعد عن المعاصي ويفرّ من الذنوب، وكلّما ازداد الإنسان قرباً من الله ابتعد عن المعصية.

هـ: الوعي والتعقّل: فالإنسان الواعي والعاقل هو الذي يفكّر بالعواقب ويتجنّب سخط الله وغضبه؛ لأنّ الدنيا كما يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ولا تهتكوا

أستاركم عند من يعلم أسراركم»[١].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: أنّه مرّ بمجنون **فقال: «ما له؟** فقيل: إنّه مجنون، فقال صلى الله عليه وآله: **بل هو مصاب وإنّما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة»**[٢].

فالإنسان العاقل هو الذي يتجنّب المعاصي ويبتعد عن الذنوب؛ لأنّ عقله يصونه من هذه المآثم والجرائم.

وعلى هذا فقد سئل النبي صلى الله عليه وآله: ما العقل يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله:

«العمل بطاعة الله وأنّ العمّال بطاعة الله هم العقلاء»[٣].

ولقد أجاد وأشاد الشاعر بقوله:

صائن العقل يصان ولقد ضاع مضيّعه
مشرق العقل مضيء ساطع النور سطيعه
حصن ذي العقل حصين في ذرى العزّ منيعه
فاز بالطوبى من العقل إلى الله شفيعه
بارك الله على العقل ونجى من يطيعه

وبقراءة هذه الوريقات القليلة سوف تتّضح لنا هذه الأمراض الروحية وكيفية علاجها وطرق وقايتها والتخلّص منها نهائياً، وتكون فيها الإجابة الوافية المختصرة

(١) نهج البلاغة من كلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام رقم ٢٠٣ ص ٣٢٠ صبحي الصالح.
(٢) روضة الواعظين: ٤.
(٣) بحار الانوار: ١/ ١٣١.

على هذا السؤال وهو: كيف نستطيع أن نبتعد عن المعصية؟ وكيف نتخلّص منها؟ وما هي الوسائل التي نتّكئ ونعتمد عليها في هروبنا من المعصية وفرارنا من الذنب؟

وبالأخير: عصمنا الله بالتقوى وجعل الآخرة خيراً لنا ولكم من الأُولى.

كيف يستطيع الإنسان أن يتجنّب المعاصي والجرائم؟

الإنسان العاقل الرشيد الذي يحبّ الخير لنفسه ولمستقبله لابدّ أن يتصدّى لعلاج مرضه وستر عيوبه وسدّ نقصه كما يبادر المريض لعلاج نفسه بالذهاب إلى الطبيب المختصّ إذا أراد لنفسه الشفاء، فكذلك ينبغي للإنسان أن يحتاط لآخرته التي لابدّ من الورود عليها والوقوف عندها، كما قال مولانا عليه السلام:

«إنّما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم»[1].

والإنسان العاقل هو الذي يتجنّب الأشياء التي تضرّ بصحّته وتضرّ بدنياه، فكذلك ينبغي عليه الاحتراز لآخرته والابتعاد عن المعاصي والذنوب وخصوصاً إذا علم بأنّ هناك رقابة إلهية تحصي عليه أنفاسه وأقواله وأعماله في السرّ والعلانية في اللّيل والنهار وفي السفر والحضر، وكيف لا تكون هذه الرقابة الإلهية معنا وهي تستمدّ قوّتها وطاقتها من الله العلي القدير، ويمكن حصر وتصوير هذه الرقابة الإلهية بما يلي:

---

(١) نهج البلاغة من كلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام رقم ٢٠٣ ص ٣٢٠ صبحي الصالح.

أولا: المسجل الرباني

الإنسان استطاع أن يخترع مسجّلة تسجّل أقواله وتضبط مقاله فكيف بخالق الإنسان، فإنّ الله العلي القدير جعل مع كلّ إنسان مسجّلة تسجّل جميع أقواله من بداية انتباهه من النوم وخروجه إلى أعماله الحياتية إلى حين استلام فراش نومه، فهي مع الإنسان في سرّه وعلنه وفي ليله ونهاره وفي حضره وسفره تحصي وتسجّل عليه أقواله وتستمدّ قوّتها وديمومتها من بطاريات ربّانية لا نفاذ لها، والقرآن يحدّثنا عن هذه الرقابة بقوله تعالى:

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

فإنّ الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكته الموكّلين بالإنسان بتشغيل وتسجيل هذه المسجّلة الربّانية، فإذا حوسب يوم القيامة وعوتب: لِمَ استغبت مؤمناً؟ ولِمَ افتريت؟ ولِمَ قلت المقالة الفلانية؟ وأنكر الإنسان قوله ومقالته، يأمر الله ملائكته أن يأتوا بهذا المسجّل ليستمع شريط مقالته بنفسه، فإذا علم الإنسان العاقل بهذه الرقابة الإلهية فإنّه يبتعد عن الجريمة ويتجنّب الذنب ويفرّ من المعصية.

ثانيا: العقل الإلكتروني المحصي لأعمال الإنسان

الإنسان محاط بهذه الرقابة الإلهية التي من وظائفها فتح ملف يومي للإنسان وتسجيل جميع أعماله، وهذا الملف اليومي يكون مع الإنسان في جميع مراحل ليله ونهاره، سرّه وعلانيته، ويستمدّ قوّته وطاقته من الربّ العلي القدير، وقد صوّر

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

القرآن هذه الرقابة بقوله:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1].

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾[2].

فإذا قيل للإنسان: لماذا سرقت مالاً؟ لماذا زنيت؟ لماذا شربت خمراً؟ لماذا تجسّست على المسلمين؟ لماذا لا تؤدّي دَينك الذي بذمّتك؟ فيتصدّى المجرم للإنكار ويقول: ربّي، لم أفعل. فيأمر الله الملائكة الموكّلين به أن يأتوا بالملف ليقرأ أعماله بنفسه، فإذا رأى جرمه وجريمته طأطأ برأسه نحو الأرض خجلاً من الله العلي القدير، وهذا القرآن يحدّثنا بقوله:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾[3].

فإذا عرف الإنسان العاقل وجود هذه الرقابة امتنع عن الولوج في المعصية والوقوع فيها.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٣ ـ ١٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

ثالثا: التلفزيون الرباني

وهذه الرقابة الثالثة تصوّر جميع أفعال الإنسان وأعماله على شكل عينيات مصوّرة وهي تحيط بالإنسان في كلّ مراحل حياته؛ الفردية والاجتماعية، العلنية والسرّية، في الليل والنهار، وتستمدّ طاقتها وقوّتها من العلي القدير التي لا نفاد لها، فهي تصوّر جميع تصرّفاته وأعماله على شكل فلم مصوّر لا يغادر من عمل الإنسان صغيرة ولا كبيرة إلاّ سجّلها وأحصاها تصويراً دقيقاً فإذا قيل للإنسان لماذا عملت المنكر؟ ولماذا شربت الخمرة؟ ولماذا لعبت قماراً؟ ولماذا زنيت؟ ولماذا غصبت مالاً؟ وإلى آخره، فيدافع عن نفسه بقوله:

إلهي، إنّي لم أفعل!

فيأمر الله الملائكة المحدقين به والموكّلين عليه أن يأتوا بالعينيات المصوّر له والفلم الذي ألمّ بتصرّفاته تصويراً دقيقاً فيعرض عليه، فيرى أعماله بنفسه مجسّدة ومصوّرة، وقد وضّح لنا القرآن الكريم هذا المعنى بقوله:

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

فالمرويّ عن الأئمّة: حاضراً؛ أي: مجسّداً ومصوّراً لجميع أعمال الإنسان وأفعاله.

ويقول أيضاً:

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال تعالى أيضاً:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾[١].

رابعا: شهادة الأعضاء على الإنسان

وهذا اللّون من الرقابة الإلهية لا يمكن للإنسان أن يتهرّب عن الجريمة والإعتراف بذنبه وجريرته؛ لأنّ أعضاءه من يده ورجله وعينيه وسائر جوارحه التي مارس بها المعصية وارتكب بها الجريمة، فهي تبادر للإعتراف عليه والشهادة بجرمه وجريرته إذا أنكر جرمه ومعصيته، فإذا قيل له: لماذا سرقت؟ فأنكرها، إنبرت يده تشهد عليه بالسرقة، وإذا قيل له: لماذا ذهبت إلى المكان الذي يحرّم الذهاب إليه؟ فإذا أنكر ذلك تصدّت قدماه لتكذيبه والشهادة عليه، وإذا نظرت عيناه إلى ما هو محرّم وأنكر ذلك! فتبادر عيناه للشهادة عليه ولإثبات جريمته، وهكذا أُذنه لو سمعت غيبة أو نميمة فإنّها تشهد عليه، وهكذا بقيّة جوارحه وأعضائه، والقرآن الكريم يحدّثنا بآياته عن هذا المعنى بقوله:

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

وهناك آيات أُخرى تدلّ وتوضّح هذا المعنى، من قبيل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٤.

يَعْمَلُونَ ﴾[١].

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣].

خامسا: الأرض تشهد بوقوع المعصية

يوم القيامة يحصل التحوّل الكبير في المفاهيم والمعاني وتتغيّر الأوضاع تغيّراً كلّياً، فإذا بالأرض الجامدة التي ـ لا يمكن وصفها بالنطق والتعقّل ـ تنطق يوم القيامة وتشهد وتحدّث وتخبر عمّا جرى عليها من أعمال وأفعال وجرائم ومعاصي، فإذا أنكر الإنسان العاصي ذنبه وتنكر لكلّ ما قيل في حقّه فإذا بالأرض تشهد عليه بما ارتكب من ذنب ومعصية على ظهرها، والقرآن ينبّه الإنسان بهذا المعنى بقوله تعالى:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٤].

هذه بعض الرقابات الإلهية التي تحيط بالإنسان وتحصي عليه ما ارتكب من

(١) سورة فصّلت، الآية: ٢٠.
(٢) سورة فصّلت، الآية: ٢٢.
(٣) سورة فصّلت، الآية: ٢١.
(٤) سورة الزلزلة، الآية: ١ ـ ٥.

معصية وما فعل من ذنب، فإذا شعر الإنسان بهذه الرقابة التي تحصي عليه أعماله وإذا علم بما يحيط به وما يسجّل عليه، فعندها يفرّ من المعصية ويبتعد عن الذنب ويتجنّب كلّ جريمة وفعل قبيح، وبهذا ينجو من الولوج في المعاصي ومن الوقوع في المهالك، وقد قال مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«إنّما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم»[1].

فإذا علم الانسان بهذه الرقابات الإلهية التي تحيط به وتحصي وتسجل عليه أعماله وأنفاسه، فعندئذ تسمو نفسه وتزكو أعماله وتصرّفاته.

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٧٢.

-٣-

عوامل تقوية الإيمان

عوامل تقوية الإيمان

ما هي عوامل تقوية الإيمان؟

ج س١: الإيمان بحاجة إلى التغذية والتكامل كاحتياج جسم الإنسان إلى التغذية، وكلّما كانت تغذية الجسم سليمة ومستمرّة، يزداد قوّة وفعّالية، فكذلك الإيمان بحاجة ماسّة إلى التغذية والتكامل. والتغذية الإيمانية تختلف عن تغذية الجسم؛ لأنّه يعيش على التغذية المعنوية والإنسان العاقل الرشيد هو الذي يسعى لتكامل إيمانه وتقويته، كما يسعى لتقوية جسمه وأُمور معاشه وحياته، ولهذا نرى الأنبياء والأوصياء والأئمّة والصالحين يسعون لكمال إيمانهم وتقويته مع أنّهم في قمّة الإيمان، ويتّضح لنا ذلك من مناجاتهم وابتهالاتهم، فكيف بالإنسان العادي فإنّه أحوج ما يكون إلى التغذية الإيمانية من غيره.

عوامل تقوية الإيمان:

عوامل التقوية الإيمانية كثيرة، نذكرها بإيجاز واختصار، وهي كما يلي:

أولا: الوعي الفكري ويقابله الغباء الفكري

فأمّا الوعي الفكري، ونعني به أنّ الإنسان لابدّ له من أن يكون ملمّاً ومطّلعاً على مبادئ فكره وإيمانه وواعياً لها ويتحقّق ذلك بأمرين:

أ ـ **التثقيف الذاتي**: وهو أن يجعل له منهجاً في تثقيف نفسه عن طريق

مطالعة الكتب الكثيرة التي تفيده في زيادة إيمانه وفكره، والتزوّد من مفاهيم مبدئه وعقيدته، والإطّلاع على الأفكار والمبادئ الوافدة على مجتمعه وعقيدته، فأمّا الكتب التي تفيده في هذا المجال، من أمثال كتب المرجع الشهيد الصدر رحمه الله وكتب العلاّمة الشهيد المطهّري رحمه الله وغيرهما من الكتب النافعة التي تعطيه مناعة من الضياع الفكري والإنحراف العقائدي.

ب ـ التثقيف الجمعي: وهو ما يستفيده الإنسان من الدرس والتدريس اليومي في شكل صفوف أو حلقات تدريس أو الاستماع إلى محاضرات الأساتذة والخطباء.

وبهذا يحصل هذا اللّقاح الاثنيني، فيتحقّق العامل الأوّل للوعي الفكري، ويستطيع الإنسان أن يميّز به الفكر الأصيل من الفكر الدخيل، وبه ينجو من فتن الأهواء وشبهات المضلّين والمغرضين، وبذلك تكون له الحصانة على فكره من الضلال والانحراف.

الغباء الفكري:

وهو مضادّ ومقابل للوعي الفكري، وعن طريقه يكون الإنحراف والضلال، فكلّ المضاعفات والانحرافات، ناشئة من هذا الغباء الفكري.

وقد ابتلى العالم الإسلامي بهذا اللّون من الغباء في جميع مراحل تاريخه، ممّا سبّب له الويلات والحروب الداخلية؛ نتيجة هذا الغباء، كما حدث ذلك في سنة ٦١ هجري حيث قتل الإمام الحسين عليه السلام، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه الداعي لله ولرسوله وللإسلام، أليس هو القائل في بداية إعلان ثورته:

«ألا وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت

لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي ا . أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ، فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليَّ هذا، أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين... الخ»[١].

ونتيجة عدم وجود الوعي الفكري، وتمتّع الأكثرية بهذا الغباء الفكري الذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وحيث إنّهم لا يميّزوا بين من يدعو لله ولرسوله صلى الله عليه وآله كالإمام الحسين عليه السلام، وبين من يدعو للفسق والفجور، كيزيد بن معاوية.

وقد عبّر عن هذا المعنى السبط الشهيد، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، حينما طلب منه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ أمير المدينة ـ مبايعة يزيد فقال عليه السلام:

«**أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة، معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة**»[٣].

فشروط أهليّة الخلافة والقيادة متوفّرة في الحسين عليه السلام، وشروط الإنحراف وعدم الأهلية والفسق والفجور متوفّرة في يزيد، ومع ذلك، نجد الكثيرين في ذلك

---

(١) أُنظر: مقتل الخوارزمي: ج١، ص٨٨ فصل ٩؛ الوثائق الرسمية: ص٤٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٨.

(٣) الوثائق الرسمية: ص٤٣.

اليوم، حتّى يومنا هذا، لا يفرّقون بين الحقّ والباطل فيناصرون الباطل ويخذلون الحقّ لوجود هذا الغباء الفكري بينهم، وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«وهمج رعاع، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[1].

ثانيا: الوعي السياسي ويقابله الغباء السياسي:

ونعني به أنّ الإنسان المسلم لابدّ له من أن يكون ملمّاً بقضايا السياسة وما يجري في الساحة من شعارات سياسية، حتّى لا يقع في انحرافاتها وضلالاتها الإعلامية، وهذا الجانب مهمّ واستراتيجي بالنسبة للإنسان المسلم، لأنّه إذا رفع شعار سياسي بالساحة، يستطيع بوعيه السياسي يعرف مغزى هذا الشعار وهدفه وغايته.

كيفية تحقق هذا الوعي:

ويتحقّق هذا الوعي بالنقاط التالية:

١ ـ حضور الإنسان المسلم الساحة السياسية.

٢ ـ دراسة الظاهرة السياسية ومورد انبعاثها وأسباب ظهورها.

٣ ـ مطالعة الكتب والمجلاّت والجرائد التي تعني بالسياسة.

٤ ـ استنتاج الحدث السياسي والاستفادة من إيجابياته وترك سلبياته.

٥ ـ دراسة حياة الشخصيات السياسية في العالم ومواطن القوّة والضعف في حياتهم.

---

(١) نهج البلاغة، خ٤، ص٣٦، تحقيق الشيخ محمد عبده.

وهناك مواضع أُخرى تبحث في هذا الجانب، فالإنسان المسلم الواعي يستطيع أن يستفيد من هذه النقاط ويضيف عليها، وأذكر حادثاً قبل الانقلاب الإسلامي في إيران حينما كان المرحوم القائد السيّد الإمام الخمينيقدس سره في العراق كان الكثير من طلاّبه وتلاميذه يجمعون له المجلاّت والصحف ويقتطفون منها الحوادث السياسية المهمّة ويعرضونها على سماحته للاطّلاع عليها ومن ثمّ دراستها وإعطاء الرأي السياسي وموقف الإسلام منه، فالإمام قدس سره من أسباب نجاحه اطّلاعه الواسع على السياسة العالمية مع اتّخاذ الموقف السياسي للإسلام والاستفادة منه في تقدّم المسيرة الإسلامية وبثّ روح الوعي لدى أفراد الأُمّة بما يجري في الساحة الإيرانية وغيرها، ولهذا السبب أوجدت الثورة تياراً سياسياً واعياً ممّا زاد في وعي الأُمّة حول القضايا السياسية الراهنة واتّخاذ موقف صلب منها بعد أن كانت الشعوب تقدّم القرابين والضحايا من أبنائها ورجالها، ولكن في طريق نجاحها تسرق الثورة منها من قبل الاستعمار وشياطينه وعملائه وتنحرف عن مسيرتها ولكن بفضل الوعي السياسي للأُمّة وفهمها سدّت المنافذ على الاستعمار وعملائه وانتصرت الثورة بقيادة الإمام الخمينيقدس سره.

الغباء السياسي

هو الداء العضال والمصيبة الكبرى إذا ابتليت الأُمّة به؛ لأنّه يجرّ الويلات والمشاكل والفتن إذا تفشّى في صفوف المجتمع وعن طريقه يتوصّل شياطين الأُمّة وأشرارها إلى دفّة الحكم ومن ثمّ إخضاعه إلى العمالة والتبعية للأجنبي، وهذا ما حدث في تاريخنا الإسلامي القديم والحديث حيث رجال الإصلاح والإيمان عانوا من هذا الداء الغبائي الكثير من الصعاب والمشاكل، فهذا أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام وهو رمز الإيمان الذي عبّر عنه النبي الكريم صلى الله عليه وآله حينما برز إليه عمرو بن ودّ العامري بقوله:

«**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**»[1].

تقوم في وجهه ثلاثة حروب رئيسية في المدّة القصيرة من استلامه للحكم، وهي أربع سنوات وستّة أشهر، والحروب هي:

١ ـ حرب الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير.

٢ ـ حرب صفّين بقيادة معاوية.

٣ ـ حرب الخوارج.

والنتيجة أنّ مرض الغباء السياسي المتفشّي بين الأُمّة هو الذي كلّف الإسلام والمسلمين الصعاب والمشاكل والحروب أمام القيادة الإسلامية الصالحة وتأخيرها عن الحكم. وقد عبّر الإمام علي عليه السلام عن هذا المعنى في بعض خطبه بقوله:

«**وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيّة عمياء يهرمُ فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه! فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان من بعده**».

ثمّ تمثّل بقول الأعشى:

---

(١) عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٨٨.

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر

«فياعجبا!! بينما هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمُها ويخشن مُسّها ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس لعمرُ الله بخبط وشماس وتلوّن واعتراض فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب فيَّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر!! لكنّي أسففت!! إذ أسفوا وطرت إذ طاروا؛ فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هنٍّ وهنٍّ إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتلُهُ، وأُجهز عليه عملُهُ وكبت به بطنته»[1].

هذا في التاريخ الماضي، وأمّا في تاريخنا الحاضر فالغباء السياسي له سهم كبير في إنحراف الثورات والإنقلابات الإسلامية التي حدثت في عصرنا الحاضر ومن ثمّ سرقت وانحرفت عن مسيرها الإسلامي كما حدث في العراق في ثورة العشرين وفي الجزائر وتونس ومراكش وليبيا ومصر، فقد طرد الاستعمار بفتوى العلماء ودماء الألُوف من المجاهدين من أبناء الإسلام وبأموال رجاله ولكن بسبب تفشّي هذا المرض وهو الغباء السياسي، سرقت هذه الثورات والانقلابات لصالح الأنظمة الغربية والشرقية من رأسمالية واشتراكية كما هو الواقع في عالمنا المعاصر.

(١) نهج البلاغة: شرح صبحي ص٤٨.

وفي ظرفنا الحالي نرى الغباء السياسي والاجتماعي كيف يتجلّى في أعمال هذه الجماعات الارهابية والتكفيرية والأفكار المنحرفة التي تنادي بها باسم الإسلام ولكنّها بأعمالها هذه ضربت الحركة والعمل الإسلامي الأصيل الهادف في الصميم، وشوّهت سمعته في الداخل والخارج وأخّرته في كثير من البلدان في استلام الحكم؛ لأنّ هذه الحركات التكفيرية والسلفية وغيرها أصبحت مطيّة بيد الاستعمار لضرب الإسلام وتشويه سمعته، وهي مؤامرة استعمارية لتأخير المسيرة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه، وذلك لمّا رأى الاستعمار وعملاؤه والصهيونية وأتباعها أنّ الإسلام في النصف الأخير من القرن الماضي، قد انتشر انتشاراً غير طبيعي في امريكا وأوربا وأصبح الديانة الثانية فلو بقي الإسلام على هذا الحال لمدّة خمسين سنة الآتية يمكن أن يصبح الإسلام هو الديانة الأُولى، ففكّروا كيف يوقفوا هذا الزحف الإسلامي ويحدّوا من تقدّمه فتوصّلوا إلى أن يخلقوا جماعة باسم الإسلام تقوم بأعمال إرهابية من قتل الأبرياء في السيارات المفخّخة والعبوات المتفجّرة في الأماكن العامّة من المساجد والحسينيات والشوارع والأسواق والمحلاّت العامّة كالمطاعم والمقاهي وغيرها وقتل وإبادة العشرات والمئات من الناس ويذبحونهم باسم الإسلام، فالمسلم حينما يرى جماعة يذبحون الأبرياء كما يذبح الكبش وهم يقولون باسم الله فتشمئز نفسه ويكره هذه المسمّيات فكيف بالأجانب والكثير منهم من ذوي الأحقاد على الإسلام، ونحن لا نلوم الجماعات التي حملت الصور لتشويه سمعة النبيﷺ في هولندا أو بلجيكيا، فهؤلاء أعداء عندهم أحقاد ضدّ الإسلام ولكنّنا لابدّ لنا من أن نستنكر هذه الأعمال التي يقام بها باسم الإسلام من أجل تشويه سمعته، ولكن الإسلام بريء منهم ومن هذه الأعمال؛

لأنّ الإسلام دين الإنسانية، وهؤلاء بأعمالهم هذه يشوّهون الإسلام وتعاليمه في ذهن الإنسانية كلّها فالمسلم حينما يرى أعمالهم هذه يستنكرها ويقف في وجهها، فكيف بالإنسان غير المسلم وهو يرى هذه الأعمال الإجرامية التي ترتكب باسم الإسلام وعندهم أهداف وغايات من ورائها ويسعون إلى تحقيقها، وهي ما يلي:

١ ـ تحقيق أهداف استعمارية وصهيونية من أجل تشويه سمعة الإسلام.

٢ ـ إيقاف الزحف الإسلامي المتنامي في امريكا وأوربا حتّى رأينا كيف أصبح الإسلام في تلك الديار الديانة الثانية بعد المسيحية، فهم يخشون لو استمرّ الإسلام على حاله لأصبح الديانة الأُولى في امريكا وأوربا فكيف يوقفون هذا الزحف الإسلامي بالأعمال التشويهية التي ترتكب باسم الإسلام.

٣ ـ محاربة الإسلام بأهدافه النبيلة، فهم يقومون بقتل الأبرياء في المساجد والحسينيات والكنائس والشوارع والأسواق وغيرها ويقتلون مئات الناس باسم الإسلام، والله يقول في كتابه المبين:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

ويقول تعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١].

وهذا الرسول العظيم صلى الله عليه وآله يقول:

«**من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة ومكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله**»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله:

«مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

فهذه نظرية الإسلام واحترامه وتقديسه للإنسان، فهؤلاء يحاربون الإسلام بهذه الأعمال وينسبونها إليه من أجل تشويهه من حيث يشعرون أو لا يشعرون فهذا هو الغباء السياسي والاجتماعي بعينه أيضاً.

ثالثا: الوعي الاجتماعي ويقابله الغباء الاجتماعي

من عوامل تقوية الإيمان هو الوعي الاجتماعي، ونعني به هو أن يكون للإنسان المسلم الاطّلاع والاهتمام بالأُمور الاجتماعية وما يدور حوله من القضايا التي يمارسها يومياً أو أُسبوعياً، سواء كانت على الصعيد التجاري أو الاجتماعي أو السياسي، وذلك بأن يكون واعياً لأُمور التجارية وغيرها من الناحية الشرعية؛ لأنّ التاجر كما في الحديث:

«**فاجر ما لم يتفقّه في أُمور دينه**».

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٥ / ٩٤.

وهناك كثير من الأحاديث التي تحثّ التاجر والكاسب على التفقّه في أُمور دينه وتجارته «حتّى لا يرتطم بالربا».

وكذلك مطلوب منه أن يكون واعياً في أماكن تعبّده وحضوره فيجب أن يكون المكان نظيفاً ونزيهاً من الشوائب والمعاصي، فمثلاً حينما يذهب الإنسان إلى المسجد أو الحسينية أو المواكب أو النادي عليه أن يعي ويفهم المغزى الذي من أجله أُنشأت هذه المؤسّسات الدينية أو الاجتماعية.

الغباء الاجتماعي:

هو أنّ الإنسان المسلم يساهم في فعّاليات ونشاطات اجتماعية أو دينية غير واعية فيكون مردودها عكسياً ومخالفاً للإيمان والدين، وهو لا يعي ذلك، فهذا هو الغباء الاجتماعي، كما حدث ذلك في الماضي من تاريخنا حيث يحدّثنا القرآن الكريم عن مسجد ضرار بقوله:

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

إنّ النبي الكريم أمر بهدم مسجد ضرار؛ لأنّه أُسّس من أجل تجمّع المنافقين وإيجاد الفرقة والاختلاف بين المسلمين، ولهذا نزلت هذه الآية في ذلك المكان.

وما شابه ذلك من فتح مسجد إلى جنب مسجد آخر قريب منه أو حسينية إلى جنب حسينية أُخرى أو ناد إلى جنب ناد آخر قريب منه، فإنّ هذه الأُمور كلّها تسبّب الفرقة والاختلاف وأصبحت مصدر إعاشة لجماعة مرتزقة وهي من مظاهر

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.

الغباء الاجتماعي.

وأمّا في عصرنا الحاضر فنجد أنّ كثيراً من نشاطاتنا الدينية والاجتماعية قد تستغلّ من قبل شياطين الأُمّة ومنحرفي العقيدة، كما حدث ذلك في العراق حينما كان الفكر الماركسي السياسي آنذاك، وسيطر على الشارع العراقي، فاستغلّوا ظاهرة المواكب الحسينية لصالح نشاطاتهم، واستعمل هذا الأُسلوب أيضاً الحزب الصدّامي في بداية مجيئه إلى الحكم، ولكن قد تصدّى للوقوف في وجه هذا التيار الانحرافي نخبة مؤمنة واعية من روّاد المجالس الحسينية ومواكبها ومنعوا من استغلالها.

فالإنسان المسلم الواعي عليه أن يفهم ويعي الظاهرة الاجتماعية حتّى لا يقع في المفارقات الانحرافية؛ بل لابدّ أن يساهم في النشاطات الدينية والاجتماعية لتقوية الإيمان عند عامّة الناس وزيادة الوعي الاجتماعي والتقوى الاجتماعية وكذلك النشاطات الاجتماعية الأُخرى كالنوادي والفرق الرياضية وغيرها، فلابدّ للمؤمن الواعي أن يستفيد منها في زيادة إيمان المجتمع وبثّ روح التقوى في صفوف أبنائه والاستفادة من هذه المظاهر الاجتماعية لصالح الدين، حتّى لا تقع هذه الأُمور بيد الأعداء ويستفيدوا منها في تضليل وإفساد أبناء الأُمّة، كما حدث في كثير من بلادنا بسبب هذه المظاهر الاجتماعية غير الواعية.

رابعا: الوعي الإيماني ويقابله الغباء الإيماني

ونعني به أنّ الإنسان المسلم لابدّ أن يكون إيمانه إيماناً واعياً فاهماً يحرّكه ويسيطر على سلوكه وتصرّفاته، فلا يعمل ولا يقوم بشيء إلاّ بوحي من إيمانه ويكون مقياسه العملي هو رضى الله، فكلّ عمل يقوم به لابدّ أن يخضع لهذه

القاعدة ويستوحي من هذا المفهوم، فلهذا نرى هذا الصنف يتمتّع بوعي إيماني سليم يميّز به الحقّ من الباطل والغثّ من السمين والأصيل من الدخيل، فالإيمان حاكم على هؤلاء في السفر والحضر، في السرّ والعلانية، في السلم والحرب، وفي الانتصار على العدو أو الهزيمة، فهذا عمّار بن ياسر يعبّر عن واقعية هذا الصنف بقوله لعلي أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة صفّين:

«والله لو ضربونا حتى لو يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق، وأنّهم على الباطل»[1].

فهذا الفكر الواعي المنبعث من روح إيمانية عالية وشعور مشبّع بالإيمان والتقوى، وما أكثر هؤلاء في قديم الزمن وحاضره من أمثال عمّار بن ياسر وحجر بن عدي ومالك الأشتر وميثم التمّار وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وزهير أو من أمثال المرجع الشهيد الصدر والشهيد المطهّري وبقيّة الشهداء الذين ضحّوا بأنفسهم وأصرّوا على مكافحة الباطل ومناصرة الحقّ.

التغذية الإيمانية

الروحية التي يمتّع بها هؤلاء الأفذاذ، هي روح كلّها عطاء وثمر؛ لأنّها تغذّت بالإيمان الصحيح وقوّة شوكتها به وبنت أساسها عليه، وذلك لأنّ الإيمان بحاجة إلى التغذية كاحتياج الجسم إلى الغذاء وكلّما كانت التغذية سليمة وثمينة ازداد الإيمان رسوخاً وثباتاً، والتغذية الإيمانية هي كما يلي:

١ ـ أداء الواجبات بأوقاتها وترك المحرّمات.

---

(١) الكافي: ٥ / ١٢.

٢ ـ الالتزام بإتيان النوافل ولا سيّما صلاة اللّيل، فإنّها تشحن إيمان المصلّي وتجعله يعيش حالة روحانية خاصّة ويزداد إيمانه لأنّ لها الأثر المباشر في نضج إيمانه وزيادته، وكيف لا تكون كذلك وهي الخط المباشر والمتّصل بين العبد وخالقه، ووقتها بعد منتصف اللّيل وهو وقت الانقطاع عن الممارسات الاجتماعية حيث العيون نائمة والأنفس ساكنة فعندها يعيش الإنسان حالة روحية صادقة واتّصالاً مباشراً مع خالقه كما كان عليه أنبياء الله ورسله وخلفاؤه وأولياؤه، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يستفيد من هذه الفرصة الثمينة للاتّصال بمولاه وخالقه ويناجيه بهذه المناجاة كما يروي ذلك عنه.

إذا أرخى اللّيل سدوله وغارت نجومه وعلي قائم في محرابه يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين.

ويناجي ربّه بتلكم المناجاة الإلهية وبذلك النداء الربّاني وهو يقول:

«**إلهي مولاي يا مولاي: أنت المولى وأنا العبد وهل يرحم العبد إلاّ المولى. مولاي يا مولاي: أنت المالك وأنا المملوك، وهل يرحم المملوك إلاّ المالك. مولاي يامولاي: أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلاّ العزيز. مولاي يا مولاي: أنت الخالق وأنا المخلوق وهل يرحم المخلوق إلاّ الخالق. مولاي يا مولاي: أنت القويّ وأنا الضعيف وهل يرحم الضعيف إلاّ القوي. مولاي يا مولاي: أنت الغني وأنا الفقير وهل يرحم الفقير إلاّ الغني**»[1].

(١) فقرات من مناجاة أمير المؤمنين في مسجد الكوفة أنظر كتب الأدعية ولا سيّما مفاتيح الجنان أعمال مسجد الكوفة.

٣ـ الإلتزام بقراءة القرآن الكريم يومياً ويستحبّ قراءة خمسين آية في كلّ يوم على أقلّ تقدير.

٤ ـ قراءة الأدعية المأثورة عن النبي والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، كقراءة دعاء كميل ودعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة وقراءة أدعية المناجاة الخمسة عشر وبقيّة الأدعية المأثورة في صقل إيمان الإنسان وزيادة روحانيته، وبهذه السفرة الإيمانية التي اختصرناها في هذه الجولة الربّانية يتكامل الإيمان ويكون رادعاً عن المعصية والذنب وارتكاب الجريمة وهذا هو الوعي الإيماني.

الغباء الإيماني

هو التظاهر بالإيمان وعدم الفهم الواقعي له والتلبّس بلبوسه والتحلّي بمظاهره من دون وعي وإدراك وهو وباء خطير على الإسلام والمسلمين إذا تفشّى بين صفوف الأُمّة، وهذا اللّون من الغباء الإيماني هو الذي وقف في وجه الإيمان الصحيح النزيه، ولهذا نرى كلّ الإنحرافات في مجتمعاتنا الدينية ناشئة من هذا الانحراف في قديم الزمان وحاضره، فالخوارج هم كانوا من المتعبّدين ظاهراً ويتظاهرون بالإيمان وكان إيمانهم إيماناً لا يميّزون به الحقّ من الباطل والإيمان الصحيح من الإيمان الغبي، ولهذا حاربوا الإمام القدّيس أمير المؤمنين في واقعة النهروان وذهبت القتلى من الطرفين وذلك بتحريك من معاوية وعمرو بن العاص، وحيث أنّه ليس لهذا النوع من الإيمان مناعة وصيانة من الإنحراف فوقفوا هذا الموقف وحاربوا عليّاً الذي عبّر النبي الكريم صلى الله عليه وآله:

«علي مع الحقّ والحقّ مع علي»[١].

وأمّا في عصرنا الحاضر فنشاهد من هذا الشذوذ ألواناً من الغباء الإيماني وأرتالاً من اللّحى الطويلة والثياب القصيرة والأفكار البالية والدخيلة والبدع المنحرفة والخرافات المزيّفة على الإسلام والمسلمين، كما أنّهم يثيرون الأوهام والتفرقة والفتن والأحقاد بين الأُمّة الواحدة التي خلقها الله من أجل التعارف والمحبّة بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢].

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[٣].

وكما هي عليه الآن الوهّابية والدروشة الجاهلة الغبية.

فإذا عرفنا هذه العوامل الأربعة قوي إيمان الإنسان وزكت نفسه وصقل إيمانه وتكامل.

---

(١) راجع كتاب الخصال، للشيخ الصدوق: ٤٩٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

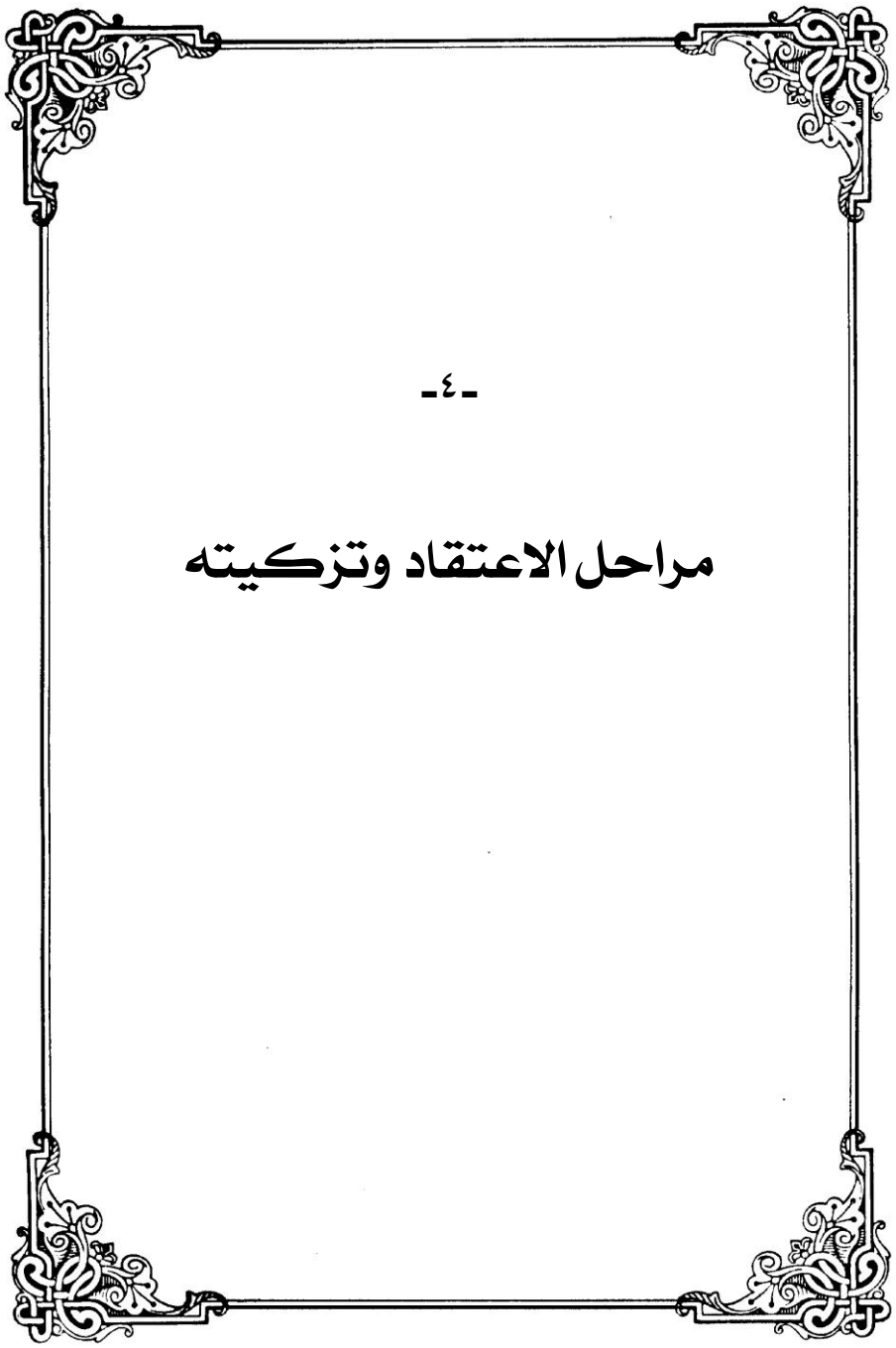

-٤-

مراحل الاعتقاد وتزكيته

مراحل الاعتقاد وتزكيته

الإنسان المسلم ومراحل نمو اعتقاده

الإنسان المسلم يمرّ في حالات الاعتقاد والإيمان بمراحل ثلاث، ونحن نتكلّم عن هذه المراحل بصورة مقتضبة وبشيء من الاختصار والإيجاز وهي كما يلي:

المرحلة الأولى: وهي الإسلام

الإسلام هو أوّل مرحلة اعتقادية يمرّ بها الإنسان المسلم وهو عبارة عن النطق بالشهادتين: (**أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله**) فكلّ من نطق بهاتين الشهادتين عدّ مسلماً ويمنح هويّة الإسلام.

خصائص هذه المرحلة: الحصانة

من خصائص هذه المرحلة أنّها تمنح المتلبّس بها حصانة على نفسه وعرضه وأمواله، فلا يجوز لأي إنسان أن يعتدي على من ينطق بهاتين الشهادتين لأنّه يتمتّع بحرمة خاصّة على أمواله وعلى نفسه وعلى عرضه ويعيش في حماية الإسلام ورعايته وحصانته فكيف يجوز للارهابيين الذين يدّعون لأنفسهم الإسلام أن يقتلوا المؤمنين بتفجيراتهم للأماكن العبادية كالمساجد والمراقد والحسينيات وغيرها وقتل المئات من المسلمين وهذا العمل منافي للإسلام

وتعاليمه وهل هذا العمل هو تطبيق للآية الكريمة؟

﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

فالإسلام منهم ومن عملهم هذا بريءٌ.

مخاطر هذه المرحلة:

قلنا إنّ هذه المرحلة الاعتقادية تمنح الإنسان حصانة على ممتلكاته ودمه وعرضه ولكنّها لا تمنحه مناعة من الإنحراف والضلال العقائدي والسلوكي فهو يعيش تحت رحمة التيارات والشعارات التي قد تؤدّي به إلى الحضيض من الانحراف والضلال، والانحرافات تكون على نوعين:

١ ـ **الإنحراف الفكري**: ونعني به الانحراف العقائدي وهو بأن يتبنّى فكراً مغايراً لعقيدته وإيمانه، وهو من الانحرافات الخطيرة جدّاً حيث إنّ الإنسان قد يتعصّب لفكرة ما من دون ركن وثيق يلجأ إليه فيقف أمام الحقّ والواقع موقفاً معانداً ومحارباً كما حدث في الزمن السابق لأُولئك الذين خرجوا على الإمام العادل أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب الجمل وصفّين والنهروان، فإنّ هؤلاء الخارجين عليه كانوا يتمتّعون بالمرحلة الأُولى من الاعتقاد وهو النطق بالشهادتين وكذلك الذين خرجوا لحرب ابن بنت رسول الله وسبطه الحسين بن علي عليهما السلام الذي أراد أن يسير بسيرة جدّه محمّد صلى الله عليه وآله ويثور على الانحراف والبعد عن الإسلام وتعاليمه ويعيد الناس إلى منابعه الأصيلة فقتلوه بكربلاء لأنّهم كانوا

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

يفقدون المناعة الفكرية من الانحراف والتيه ولأنّه ليس لديهم مناعة فكرية تقف سدّاً أمام التيارات والشعارات الانحرافية والتضليلية، ومن أمثالهم أيضاً الذين يتّخذون الأفكار الغربية والشرقية قاعدة فكرية ينطلقون منها وشعاراً يحاربون الإسلام به حرباً لا هوادة فيها، كما عليه الآن في عصرنا الحاضر أتباع الشرق والغرب حيث إنّهم يحاربون شعار لا شرقية ولا غربية ويستهزؤون به.

الإنحراف السلوكي: ونعني به الانحراف والشذوذ في عالم السلوك والعمل وهي الانحرافات السلوكية التي يقوم بها الإنسان المسلم من المخالفات الشرعية كشرب الخمر ولعب القمار أو الزنا أو الربا أو خيانة الإسلام والمسلمين كالتجسّس للأجنبي والظالم... الخ، فإنّ هذا اللّون من الإنحراف خطر على الأُمّة، وكثير من المشاكل التي تحدث أو حدثت كلّها ناتجة وناشئة من هذا الانحراف السلوكي، ولو سألنا مخافر الشرطة عن الجرائم ومرتكبيها لرأينا كلّها من بقاء إنسان صاحب هذه المرحلة العقائدية عليها ولم يتجاوزها إلى غيرها، ولهذا فإنّ البقاء على هذه المرحلة وعدم اجتيازها تعرّض صاحبها إلى مخاطر الإنزلاق الفكري والعقائدي والسلوكي، وعلى هذا الأساس يجب على الإنسان المسلم أن يجتاز هذه المرحلة وينتقل إلى الثانية ليكون في مأمن من هذه الانحرافات.

المرحلة الثانية: الإيمان

وهو عبارة عن انسجام السلوك مع الفكر والمعتقد، وبعبارة أوضح هو تطبيق الأحكام الشرعية والالتزام بها قولاً وعملاً.

خصائص هذه المرحلة: المناعة الفكرية والعملية

كلّ من التزم وطبّق التعاليم الإسلامية قولاً وفعلاً عدّ مؤمنا ويمنح هويّة

الإيمان وهي أعمق وأشمل من المرحلة الأُولى؛ لأنّ كلّ مؤمن هو مسلم وليس العكس ويعني أنّه ليس كلّ مسلم هو مؤمن، لأنّ الإنسان المؤمن ينطق بالشهادتين ويلتزم بتعاليمها فهو يتمتّع بميزات المرحلة الأُولى وهي الحصانة على دمه وعرضه وأمواله وزيادة على ذلك فهي تمنحه مناعة فكرية فهو يعيش في ظلّها وتصونه من الإنحراف والضلال الفكري والعقائدي، والاجتياز والانتقال من المرحلة الأُولى إلى المرحلة الثانية لا يكون بالقول فقط؛ بل هو بالعمل والتقوى فإذا لم يلتزم بالعمل والتطبيق فهو فاشل وباق في صفّه ومرحلته.

ولهذا نرى القرآن الكريم يوضّح لنا هذه الفكرة وذلك حينما:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1].

حيث إنّه قد تصوّر الأعراب الذين كانوا يتجاهلون أو يتساهلون بالأحكام الإسلامية أنّهم قد انتقلوا إلى المرحلة الثانية من الاعتقاد، ولهذا قالوا: آمنّا، فجاء الردّ الإلهي بالنفي لهذه النقلة وردّهم إلى المرحلة الأُولى:

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾

وسائل تغذية الإيمان

المرحلة الثانية؛ كما قلنا هي أعمق وأشمل من المرحلة الأُولى لأنّها تمتاز بخصلتين:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

١ ـ الحصانة.

٢ ـ المناعة.

بينما المرحلة الأُولى تختصّ فقط بالحصانة، وهنا سؤال يورد: كيف ننتقل من الأُولى إلى الثانية؟ وما هي الطرق لذلك؟

الإيمان بحاجة ماسّة إلى التغذية كما يحتاج الجسم إلى التغذية، ولكن التغذية الإيمانية تختلف عن تغذية الجسم فالغذاء الجسدي يكون بالأكل والشرب وكلّما يختار الإنسان المأكل والمشارب الطيّبة والمليئة بالفيتامينات وغيرها تزداد قوّة جسمه وبدنه، كذلك الإيمان فكلّما أمعن الإنسان في تغذية إيمانه يزداد قوّة وثباتاً وصلابة ومناعة من الإنحراف والضلال، وتغذيته تكون بالطرق التالية:

آ ـ **التثقيف الذاتي والجمعي**: ونعني بهما ما يكسبه الإنسان من المطالعة الفردية للكتب المفيدة والنافعة والمربّية وما يحصله من دروسه ودراسته ومن استماع المحاضرات المفيدة وغيرها.

ب ـ **قراءة القرآن**: بتأمّل وإمعان وحفظه وحفظ الكثير من سوره وآياته، فإنّها تنمّي روح الإيمان وإشراقة النفس.

ج ـ **قراءة الأدعية**: كدعاء كميل وأبي حمزة الثمالي ومناجاة الخمسة عشر والصحيفة السجّادية وبقيّة الأدعية والمناجاة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

د ـ **الالتزام بالواجبات وبعض المستحبّات**: ولا سيّما صلاة اللّيل.

هـ ـ **قراءة وحفظ نهج البلاغة**: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و ـ **معاشرة الإخوان**: والمؤمنين الصادقين فكراً وعملاً.

فإنّ هذه الأُمور وغيرها تصقل الإيمان وتنمّيه وتعطي الإنسان المتزوّد بها

صلابة إيمانية ومناعة من الانحراف والتيه، وبذلك يستحقّ أن يمنح هوية الإيمان وينتقل من المرحلة الأُولى إلى المرحلة الثانية بنجاح ويؤهّله للمرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: العشق الإلهي

هذه المرحلة تصوّر لنا كمال الإيمان ورقيّه وروحيّته وعطائه، لأنّها تمثّل الغاية الأساسية للإيمان وجمال المعتقد حيث إنّ الإنسان يسمو في هذه المرحلة بكلّ معاني السمو ويتسلّق كلّ القمم الكمالية للإيمان ويصبح لا يفكّر إلاّ بالله العلي العظيم ولا يعمل إلاّ من أجل رضاه ولا يسير إلاّ على وفق طاعته ورضوانه فهو فانٍ في الله ومندك في طاعته لا يرى لوجوده استقلالية إلاّ في ظلّ الله ولا لمعيشته لذة إلاّ برضاه، فمقياسه رضوانه وطاعته.

خصائص هذه المرحلة: (البذل والفداء)

هذه المرحلة أعمق وأشمل من المرحلتين السابقتين لأنّها تحتوي على المرحلتين وهي الحصانة والمناعة وتمتاز عنهما بالبذل والعطاء في ذات الله، ولقد حظى بهذه المرحلة الخواص من عباد الله وهم أنبياؤه ورسله وأولياؤه من الأئمّة الطاهرين وعباده المؤمنين.

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة من رجالات هذه المرحلة الذين ضربوا المثل الأعلى بالبذل والعطاء وذلك بالأرقام التالية:

١ ـ سيّد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، حيث نراه يرفض جميع متطلّبات الحياة ورغائب العيش وذلك حينما عرض مشركو قريش على عمّه مؤمن قريش أبي طالب عليه السلام قائلين له:

قل لابن أخيك إن كان يريد مالاً أعطيناه مالاً ما لم يكن لأحد من قريش وإن كان يريد ملكاً توّجناه على العرب وإن كان يريد فتاة زوّجناه من أجمل فتيات قريش الخ... من متطلّبات الحياة وملذّاتها.

فجاء النبي صلى الله عليه وآله إلى عمّه فقال له أبو طالب عليه السلام: يا ابن أخي إنّ القوم قد قالوا كذا وكذا، فما تقول؟

فأجابه النبي صلى الله عليه وآله:

«ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّى يظهره الله أو أهلك».[1]

فنرى النبي صلى الله عليه وآله كيف يرفض متطلّبات الدنيا من أجل الله وعشقه لطلب رضوانه ورضاه.

٢ ـ بعض صحابة رسول الله في أحد الحروب، حين يسمع أحدهم صوت النبي يقول: ألا من يقتل يدخل الجنّة، وكانت بيده تمرات فيرميها من يده ويقول:

بخ بخ لي، ما بيني وبين الجنّة إلاّ أن أرمي بهذه التمرات، فيرمي بها ويهجم على الأعداء فيقتل ويقتل رضوان الله عليه.

وما هذا الاشتياق إلى الجنّة إلاّ من جهة عشقه لرضى الله والفوز بالجنّة.

٣ ـ وهذا سيّد المجاهدين ويعسوب الدين وإمام المتّقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعبّر عن شوقه وعشقه لله تعالى في حديثٍ له مع رسول

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٤/١٤.

الله صلى الله عليه وآله، حينما جذبه إليه وبكي، فقال له عليه السلام متسائلاً:

«يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور رجال عليك، لن يبدوها لك، للأمر بعدي، فقلت: بسلامة من ديني؟ قال: نعم بسلامة من دينك»[1].

أوليس هو القائل مخاطباً الله تعالى بقوله:

«اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأتمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك»[2].

فهذا البذل والعطاء من أجل عشقه لحكومة الإسلام وتطبيق أحكامه وتعاليمه ونشر رسالته.

٤ ـ سبط محمّد صلى الله عليه وآله وحفيد علي وابن الحسين علي الأكبر كان في ركاب أبيه الحسين عليه السلام الثائر في طريقه إلى كربلاء حيث أخفق الحسين عليه السلام وأخذته سنة من نوم فانتبه مسترجعاً قائلاً: (**إنّا للّه وإنّا إليه راجعون**) فسأله ولده علي: يا أبتي الاسترجاع حسن ولكن ما السبب؟ فأجابه الحسين عليه السلام قائلاً: يا بني خفقت خفقة فسمعت منادياً ينادي القوم يسيرون والمنايا تسير معهم فقال له علي الأكبر: يا أبتي أولسنا على الحقّ؟ قال له الحسين: إي وربّ الكعبة. فقال علي الأكبر: يا أبتي والله إذاً لا نبالي سوى وقع الموت علينا أو وقعنا على الموت.

فانظر إلى عشق هذا الفتى الهاشمي، وكيف أنّه يتمنّى القتل في سبيل الله وفي سبيل رسالته وعقيدته الحقّة.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٢، ص٣٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٣/٢.

٥ ـ برير أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقد بلغ التسعين من العمر، فإنّه في يوم عاشوراء حيث انقطع المدد والعدد عن الحسين عليه السلام وحوصر من قبل القوّات الأموية، فنرى هذا الشيخ فرحاً مسروراً يداعب عبدالرحمن البجلي أحد أصحاب الحسين عليه السلام وكانا واقفين عند خباء الإمام الحسين عليه السلام فتأثّر عبدالرحمن من هذا الموقف قائلاً:

يا برير أساعة باطل في هذا الوقت.

فأجابه برير بقوله: ياعبدالرحمن، والله لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل لا شابّاً ولا كهلاً فكيف الآن، ولكنّني أعلم أنّ بيني وبين معانقة حور العين ما هي إلاّ أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ولوددت أنّهم قد مالوا علينا. فيتجلّى لنا هذا العشق الإلهي من هذا الشيخ الذي بلغ من العمر عتيا. بأجلى صوره وكيف أنّه يتسابق إلى القتل في سبيل الله ساعة قبل ساعة.

٦ ـ أبو الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، كان يقدّم رجاله وأهله وأنصاره ضحية بعد ضحية وقربان بعد قربان وهو يقول:

اللهمّ إن كان هذا يرضيك فخذ حتّى ترضى.

ونراه أيضاً بعد أن فقد رجاله وأعوانه وحُماته وخرّ إلى الأرض من كثرة ما نزف منه من الدماء ولم يتمالك على النهوض ولم يملك من القوّة إلاّ أنفاسه الأخيرة فإنّا نرى بذله وعطاءه وتضحيته وعشقه الإلهي يتجلّى بأبهى صورة وأجلى معاينة، حيث يناجي ربّه بهذه الأبيات:

هجرت الخلق طرّاً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا

فلـــو قطّعتنـــي بالحـــبّ إربـــاً لما جن الفؤاد إلى سواكا[١]

٧ ـ عقيلة الهاشميين وسبطه محمّد وبنت علي وفاطمة وأُخت الحسين، حيث نراها كيف تصوّر هذا المعنى وهذا العشق الإلهي وهذا الفداء الربّاني والفناء في ذات الله وذلك بعد أن فقدت رجالها وأهلها وحماتها ولم يبق لها ولي ولا حميم، وجيء بها أسيرة ومعها صبية الحسين عليه السلام ونساؤه وحريمه بعد أن طافوا بالركب النبوي الأسير من كربلاء إلى الكوفة وأدخلوهم على عبيدالله بن زياد (لعنه الله) في مجلسه وقصره، فجلست العقيلة في زاوية من المجلس وقد حفّت بها إماؤها ونساؤها، فجاء إليها عبيدالله بن زياد جذلان مسروراً ومتسائلاً مَن هذه المتنكّرة؟ فلم تجبه احتقاراً لشأنه فأعاد القول عليها ثانياً وثالثاً أيضاً فلم تجبه استهزاءً بجبروته وسطوته، فقيل له: إنّها ابنة علي وأُخت الحسين زينب، فجاء إليها متشفّياً قائلاً:

الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم.

فأجابته الحوراء زينب بإيمان جدّها محمّد وشجاعة أبيها علي غير مكترثة به ولا بسلطانه ولا بجبروته قائلة:

الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد وطهّرنا من الرجس إنّما يكذب الفاسق ويفتضح الفاجر وهو غيرنا.

فأعاد القول عليها ثانياً وكاشراً عن أنيابه وحقده الدفين على أهل البيت قائلاً:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٦/٦.

كيف رأيت صنع الله بأخيك والعتاة المردة من أهل بيتك؟ فأجابته بصلابة أُمّها فاطمة وبسالة أخيها الحسين قائلة:

ما رأيت إلاّ جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم فسيجمع الله بينك وبينهم، فتماج وتخاصم، فانظر لمن الفلج، هبلتك أُمّك يابن مرجانة[1].

فلنرى كيف تجلّت هذه المرحلة: في نفسية الحوراء زينب وكيف انقلبت المصائب والآلام والأحزان إلى شيء جميل عبّرت عنه بقولها: (والله ما رأيت إلاّ جميلاً)، لأنّها اجتازت المراحل الثلاثة بنجاح كما اجتازها أنبياء الله ورسله وأولياؤه والصالحون من عباده.

وهم كما قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[2].

وخلاصة القول: إنّ الإنسان المسلم إذا أراد التكامل لإيمانه وعقيدته لابدّ له أن يجتاز هذه المراحل حتّى يصل إلى مرتبة التغيير العملي الكامل وعندها ينتقل من عملية التغيير إلى عملية الثبات في الفكر والسلوك، وبهذه العملية يكون الإنسان قد اجتاز هذه المراحل الاعتقادية بنجاح وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

---

(١) مثير الاحزان: ٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٦ ـ ١٥٧.

-٥-

الزهد وأنواعه

الزهد وأنواعه

س١ـ هناك بعض المغرضين من المستشرقين يحاولون أن يشوّهوا معالم الإسلام بتصويره بأنّه دين يحثّ الإنسان على ترك الدنيا وملذّاتها واتّخاذ حياة التقشّف والزهد في مسيرة حياته، ولهذا فهو دين لا يتناسب مع تطوّر الحياة.

ونحن هنا نستعرض في هذا البحث الإجابة على السؤال: ما هو موقف الإسلام من الزهد؟

والإجابة على هذا السؤال يتّضح فيما يلي:

أولا: تعريفه:

الزهد هو ترك بعض ملذّات الحياة وأتباع حياة التقشّف وذلك من أجل هدف مقدّس أو لغاية من الغايات أو منفعة من المنافع بشرط أن يستشعر بلذّة ما ترك بوعي وشعور، فمثلاً المجنون لا يشعر باللذّة مع أنّ حياته حياة تقشّف وزهادة فلا يقال له زاهد.

ثانيا: أنواعه:

هناك عدّة أشكال وأنواع وأقسام للزهد؛ فهناك الزهد النفعي والزهد التجريبي والزهد الابيقوري والزهد العقابي والزهد الدرويشي والزهد الواقعي، فأيّ قسم ونوع من هذه الأنواع ينسجم مع الإسلام وواقعه؟ لا يتّضح لنا ذلك إلاّ بدراسة

هذه الأنواع على نحو الاختصار:

أ . الزهد النفعي:

وهو أن يؤخّر الإنسان بعض ملذّات الحياة من أجل الحصول على منفعة دنيوية موقّتة وذلك لتحقيق غاية من غاياته وهدف من أهدافه ومطمع من أطماعه فإذا حصل على ما يريد وحقّق ما يهدف ضرب الزهد والتقشّف عرض الجدار وعاد إلى سيرته وسريرته الأُولى، وهذا اللّون من الزهد هو تطبّع في الإنسان لا طبع فيه نوع من التكلّف والاصطناع؛ لأنّ الغاية من وراء هذا الزهد هو حصول المنفعة الخاصّة، ولا قيمة للزهد عند هذا الإنسان إلاّ بمقدار تحقيق منفعته وغايته، ولو كانت منفعته وغايته تتحقّق عن غير هذا الطريق لسلكه.

وهذا النوع من الزهد يتواجد عادة في البيئات الدينية المتأخّرة؛ لأنّه سرعان ما ينطلي هذا اللّون من الزهد والتقشّف على تلك البيئة الدينية البسيطة ويأخذ طابع القدسية في نفوس مجتمعاتها ويصبح الزاهد بهذا اللّون من الزهد قدّيساً من القدّيسين ووليّاً من الأولياء والصالحين، وقد شاهد التاريخ الإسلامي هذا النوع يظهر في الدولة الأُموية والعبّاسية فقد كثر المتلبّسون بهذا اللّون من التقشّف والتصوّف، فهذا عبدالملك بن مروان أحد خلفاء الأُمويين استعمل هذا الأُسلوب من أجل الوصول إلى غايته وهدفه وذلك حينما علم أنّ الخلافة لا تصل إليه ما دام مفهوم القبلي الأُموي هو العرف الحاكم في تعيين الخليفة، وبموجب هذا العرف القبلي لا تصل إليه النوبة للخلافة فهناك من هو أكبر منه سنّاً وأقدر في عرف القبيلة، فأراد أن يقوم بعمل من أجل إبراز شخصيته وكيانه ويستقطب أنظار الأُمويين وغيرهم إليه فاتخذ الزهد النفعي شعاراً له لتحقيق غاياته ومآربه

وإذا بذلك الأُموي الطروب يعتزل الدنيا ويترك ملذّاته وشهواته ويأتي إلى المدينة المنوّرة ليعتكف في المسجد النبوي ويجعله مركزاً لتحقيق أهدافه النفعية ومطامعه الشخصية؛ لأنّه علم أنّ المسجد النبوي مركز تردّد للمسلمين دائماً، وإذا به لا يغادر المسجد النبوي ليلاً ولا نهاراً إلاّ لقضاء حاجته، وإذا بهذا الشاب الأُموي يلقّب بحمامة المسجد من كثرة مكثه في المسجد ممّا جعل أنظار الناس تتّجه إليه فاستقطب بذلك عواطف بقيّة الأُمويين وتغلّب على منافسيه بالخلافة بهذا الأُسلوب التقشّفي ورشّح للخلافة بعد أبيه مروان وعيّن خليفة، ولمّا جاءته الخلافة وغادر المسجد النبوي قائلاً: هذا فراق بيني وبينك يا مسجد رسول الله، ولمّا تربّع على كرسي الخلافة وإذا به يقول:

لا يأتيني أحد فيعظني ويقول اتّق الله إلاّ وضربت عنقه.

وقد وصف شاعر ذلك الزمان هذا الصنف من الزاهدين بقوله:

كلّكم يمشي كلّكم رويد طالب صيد
غير عمرو بن عبيد[1]

وعمرو بن عبيد كان من الصالحين الواقعيين.

ب. الزهد التجريبي:

وهو أن يترك الإنسان بعض ملذّات الحياة ومتطلّباتها ويعيش حياة التقشّف والزهادة، وذلك من أجل القيام بالتمرين والرياضة وتحمّل حياة التقشّف والخشونة، وهذا كما يصنعه في وقتنا الحاضر الفدائيون وفرق الصاعقة في

---

(١) الأمالي، للمرتضى: ١/ ١٢٢.

الجيوش النظامية من أجل تمرين هؤلاء على الحياة القاسية وتحمّل متاعبها عند ساعة الضرورة والحاجة ولهذا فإنّهم يتمرّنون على أكل الأفاعي والحشرات وشرب مياه القذارة وذلك من أجل تعويدهم وترويضهم لحياة الخشونة والجشوبة في المأكل والمشرب والملبس حتّى إذا ما أُلقوا بهذه الفرق في ميادين القتال أو في الصحراء القاحلة والغابات فيكون لديهم الاستعداد الكامل للتكييف أو التكيّف على معيشة تلك الحياة واستمرارهم فيها، أو كما يفعله المرتاضون الهنود وغيرهم من اتّخاذ حياة الصعوبة والضنك حتّى أنّ البعض منهم يقتصر في مأكله على تمرات معدودة ويستغني عن كلّ المآكل والمشارب وذلك من أجل التمرين والرياضة الروحية لتنكشف له بعض أسرار الحياة، والغاية والهدف من هذا الزهد هو التمرين والتجربة، لا غير.

ج . الزهد الأبيقوري:

يعتبر أبيقور فيلسوفاً من الفلاسفة عاش قبل ميلاد المسيح بـ ٣٤١ سنة وتبنّى مفهوماً خاصّاً للزهد، فإنّه امتنع هو وأصحابه وتلامذته عن أكل الطيّبات والشراب اللّذيذ واللّباس الجيّد والمسكن المريح و... الخ.

وذلك احتفاظاً باللذّة الكبرى، وفلسفته من هذا الزهد لأنّه يرى: أنّ الإنسان إذا استعمل الملذّات في كلّ يوم يفقد لذّتها لأنّ الاستمرار والاعتياد عليها يأخذ طابع الروتين، وهذا الروتين اليومي يفقدها اللذّة التي يشعر الإنسان الجائع الضامي نحو المأكل اللّذيذ والمشرب الطيّب، وهكذا بالنسبة إلى الغريزة الجنسية.

فأبيقور يرى أنّ الامتناع عن هذه الملذّات معناه احتفاظ باللذّة التي تحصل

عند الإنسان، ومهما أمكن للإنسان أن يحتفظ بأكبر قدر ممكن من هذه اللذّة ولا تحصل هذه اللذّة إلاّ بالامتناع وحياة التقشّف والحرمان من هذه الملذّات والمغريات وما شابهها فهو اتّخذ طابع الزهد والتقشّف من أجل غاية ومنفعة خاصّة.

د . الزهد العقابي:

وهو أن يحرم الإنسان نفسه من بعض ملذّات الحياة ويعيش حياة الحرمان والتقشّف والزهد والرهبنة، وذلك كفّارة عمّا صدر منه من الذنوب والمعاصي كما يعتقده هو بذلك، وهذه الفكرة أخذت تقريباً من بني إسرائيل؛ لأنّ التوبة من الذنب والمعصية عندهم كانت معناها هي قتل النفس وإزهاق الروح، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المفهوم عند بني اسرائيل بقوله:

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾[1].

وقد خفّفت التوبة من القتل إلى الحرمان من ملذّات الحياة ولهذا نرى الديانة المسيحية اتّخذت الرهبنة والإنعزال شعاراً لها فبنت الأديرة والصوامع لمن يريد أن يتخلّص من الذنوب ويتطهّر من المعاصي.

ونشأ هذا المفهوم عند بعض المسلمين فتركوا بيوتهم وعوائلهم ولجأوا إلى الجبال، فنهرهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله ونهاهم عن ذلك لأنّ التوبة لا تحتاج إلى كلّ ذلك، وأخذ مفهوم الحرمان والتقشّف يسري في نفوس التائبين من الذنوب والمعاصي حتّى أنّ بعضهم صار من أكابر المتصوّفة والزهّاد بعد ما كان من أكابر

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

المنحرفين والمستهترين، فهذا بشر الحافي العابد الزاهد المشهور فإنّه كان لا يخلو بيته من مغنّي أو مغنّية والسكر والعربدة يضجّ بيته بهما حتّى مرّ على داره في يوم من الأيّام الإمام موسى الكاظم أحد أئمّة أهل البيت وإذا بأصوات المغنّين والمغنّيات تملأ الطريق، فتأثّر الإمام بهذا الاستهتار، وإذا بجارية تخرج وترمي بقمامة البيت فسألها الإمام: يا جارية، صاحب هذا الدار حرٌّ أم عبدٌ؟ فقالت الجارية: بل هو حرٌّ، فقال الإمام: صدقتِ، لو كان عبداً لخاف واستحى من مولاه. فدخلت الجارية على بشر، فقال لها: ما أبطأك؟ فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا، فسَرَت كلمات الإمام بنفسه وأخذت بمجامع قلبه وإذا به يخرج حافياً حتّى لقى الإمام موسى الكاظم وتاب على يده واعتذر وبكى لديه استحياءً من عمله.

واتّخذ في حياته منهجاً خاصّاً وزهد في هذه الدنيا واقتصر على حياة التقشّف والزهادة وذلك كعقوبة عمّا كان يرتكبه من المعاصي والذنوب.

هـ. الزهد الدرويشي الصوفي:

وهو أن يترك ملذّات الدنيا من مسكن أو مشرب ومأكل أو ملبس من أجل أن يقال إنّه من الزاهدين، أو أن يقوم ببعض الحركات والطقوس ويتّخذها شعاراً لطريقته، وهذا هو الذي اخترعته الدراوشه حسب ذوقها ومشتهياتها وتصوّرها، ولهذا هي تمارس هذا النوع من الزهد في حياتها العملية من تطوير شعر الرأس واطالته أو تكبير شاربه ولحيته أو لبس بعض الملابس الدالة على الدروشة وذلك من دون ركن وثيق يلجأ إليه أو سند معتبر يوثّق به، وإنّما هو زهد اخترعته الدراوشة من أجل شهواتها وأغراضها، وهي كما هي عليه اليوم بعض الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وهذا اللّون من الزهد والطقوس لا يستند إلى

كتاب الله الكريم ولا السنّة النبوية الشريفة، وإنّما هي طرق ورغبات نفسية لأذواق القائمين على هذا العمل، وهذا اللون من الطرق والزهد لا يخالف الإسلام؛ لأنّه عمل مباح لأنّ الأصل في الأشياء الاباحة إلاّ إذا اصطدم بما يخالف الكتاب والسنّة أو صار سبباً لتشويه الإسلام وسمعته، فإنّه يكون بالعنوان الثانوي محرّماً وغير جائز من أمثال بعض الطرق التي تأخذ بالطريقة وترفض الشريعة، فعندها يكون هذا اللّون من الزهد مخالفاً للإسلام ولا يجوز القيام به، كما أنّ هذا اللّون من الزهد والحركات التي يقوم بها بعض الدروشة من الصوفية فهي تستند على تصرّفاتهم الشخصية وليس لها منشأ ديني.

يُحكى أنّ درويشاً كان يتصوّر أنّه أزهد الناس وأكثرهم تقشّفاً للحياة في المسكن والمأكل والملبس ولا يتصوّر في عقله ومفهومه عن الزهد من هو أزهد منه، ولهذا كان يسكن في خربة من خرابات البلد، فمرّ عليه أحد الأشخاص زائراً له، فقال الدرويش لزائره: هل يوجد من هو أزهد منّي في العالم؟! فهذا مسكني ومأكلي وملبسي، فأجابه الزائر قائلاً له: بلى، يوجد من هو أزهد منك.

فتعجّب الدرويش قائلاً: من هو الذي أزهد منّي؟

فأجابه الزائر: هناك شيخ يسكن في مدينة أصفهان هو أزهد منك، فتعجّب الدرويش من قوله هذا، فعزم وشدّ الرحال وسافر إلى أصفهان ليرى الشيخ الذي هو أزهد منه؛ كيف يسكن، وكيف يأكل، وكيف يلبس؟ وجاء إلى أصفهان وسأل عن الشيخ فدلّ عليه، فإذا به يرى شيخاً نظيفاً في ملبسه وأنيقاً في مأكله ويسكن في دار واسعة رحيبة يستقبل فيها الضيوف ويحلّ فيها المشاكل للمؤمنين، وحلّ الدرويش ضيفاً عند الشيخ متعجّباً منه كيف إنّه أزهد منه وهذه داره الواسعة وهذا لباسه النظيف وهذا مأكله الأنيق، فلمّا خلّي بهما المجلس قال

الدرويش للشيخ: كيف أنت أزهد منّي وهذه دارك الواسعة وملبسك النظيف ومأكلك اللّذيذ الأنيق؟ فأجابه الشيخ: الآن ماذا تريد منّي؟ فقال له الدرويش: لنترك الدنيا ونذهب إلى الصحاري والبراري لنعيش فيها سوية، فأجابه الشيخ بقوله: لا مانع من ذلك، فأعلن الشيخ بيع داره وما فيها من أثاث فبيعت الدار وما فيها ووزّع الشيخ جميع المال على الفقراء والمساكين فوراً، وقال للدرويش تفضل نذهب، فتوقّف الدرويش من بعد خروجه من البلد قائلاً للشيخ: نسيت عصاي، فقال له الشيخ هذه غصون الأشجار اتّخذ منها عصا، فقال له الدرويش: إنّ عصاي عزيزة عليَّ وصار لي مدّة من الزمن ترافقني وأتوكّأ عليها ونفسي لا تطاوعني أن أتركها، فالتفت إليه الشيخ قائلاً له: إنّك لا تستطيع أن تترك العصا وأنا بعت جميع ما أملك من دار وغيرها وأنفقتها على الفقراء لأنّها لم تملكني، وأنت نفسك لا تطاوعك بترك العصا لأنّها تملكك، وهذا معنى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ليس الزهد أن لا تملك شيئاً وإنّما الزهد أن لا يملكك شيء»[1].

و. الزهد الواقعي:

الزهد في المفهوم الإسلامي يختلف عن أنواع وأقسام الزهد التي ذكرناها، فليس الزهد في الإسلام هو ترك ملذّات الحياة وعدم الاستفادة منها، وقد يكون إنسان ما زاهداً في نظر الإسلام مع أنّه يتمتّع بجميع نعم الله التي أنعم الله بها على عباده وحاشا لله أن يخلق شيئاً طيّباً ويحرمه على عباده، ولهذا جاء في القرآن الكريم:

---

(١) الفوائد الرجالية: ج١ / ٣٨.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[١].

إذاً، ما هو الزهد الواقعي في الإسلام؟

الزهد في الإسلام كما ذكرناه ليس هو الامتناع عمّا أحلّ الله لعباده من الطيّبات، وإنّما هو كما لخّصه وبيّن مفهومه لنا الإمام أمير المؤمنين بقوله:

«**الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه:** ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[٢].

ومن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.

وقال علي عليه السلام أيضاً:

«**ليس الزهد أن لا تملك شيئاً وإنّما الزهد أن لا يملكك شيء**»[٣].

فالزهد بهذا المفهوم الإسلامي هو ليس معناه أن لا تملك شيئاً أي: لا تملك قصراً أو سيارة، وليس أيضاً معناه أن لا تملك أموالاً، وإنّما الزهد هو أن لا تكون أسير هذه الأشياء فهي لا تملك قلبك وجميع تصرّفاتك ولا تكون آلة مطيعة في تحقيقها من أي طريق من الحرام أو شبهه، وإنّما أن تتحكّم أنت في أموالك المنقولة وغير المنقولة وأن لا تأتيك من مال مشبوه وحرام، وتكون لديك القدرة على إخراج الحقوق حقّ الله وحقّ الفقراء والضعفاء، فإذا تمكّنت من أداء الحقوق والواجبات فأنت زاهد في المفهوم الإسلامي وإن كنت تعيش في أكبر قصر وتركب في أضخم سيارة وتلبس أحسن ملبس وتأكل وتشرب ألذّ مطعم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) أُنظر كتاب مطالب السؤول: ص١٤.

ومشرب، وقد عبّر عن هذا المفهوم الإسلامي للزهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة وذلك لمّا دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده بالبصرة، فلمّا رأى سعة داره قال بهذا النصّ:

«**ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أمّا أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، بلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.**

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال: **وما له؟** قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، قال: **عليَّ به.** فلمّا جاء قال: **ياعُدي نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحلّ لك الطيّبات وهو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك.**

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال: **ويحك إنّي لست كأنت إنّ الله فرض على أئمّة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيّغ بالفقير فقره**»[1].

وجاء في كتاب ميزان الحكمة: عن ابن أبي يعفور: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: إنّا لنحبّ الدنيا، فقال لي: **تصنع بها ماذا؟** قلت أتزوّج وأحجّ وأنفق على عيالي وأنيل إخواني وأتصدّق.

قال لي عليه السلام: **ليس هذا من الدنيا هذا من الآخرة**[2].

---

(١) نهج البلاغة: ج٢ ص١٨٧ شرح محمّد عبده.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٣ ص١٠٦.

وأخيراً، هذا هو الزهد الواقعي الذي أقرّه الإسلام وحثّ المؤمنين على اتّخاذه شعاراً لهم في حياتهم وهو ليس الزهد أن لا تملك شيئاً وإنّما الزهد أن لا يملكك شيء[١].

فلابدّ للإنسان المسلم الواقعي أن يتّخذ هذا اللّون من الزهد شعاراً له وطريقاً يسلكه.

(١) أُنظر كتاب مطالب السؤول: ص١٤.

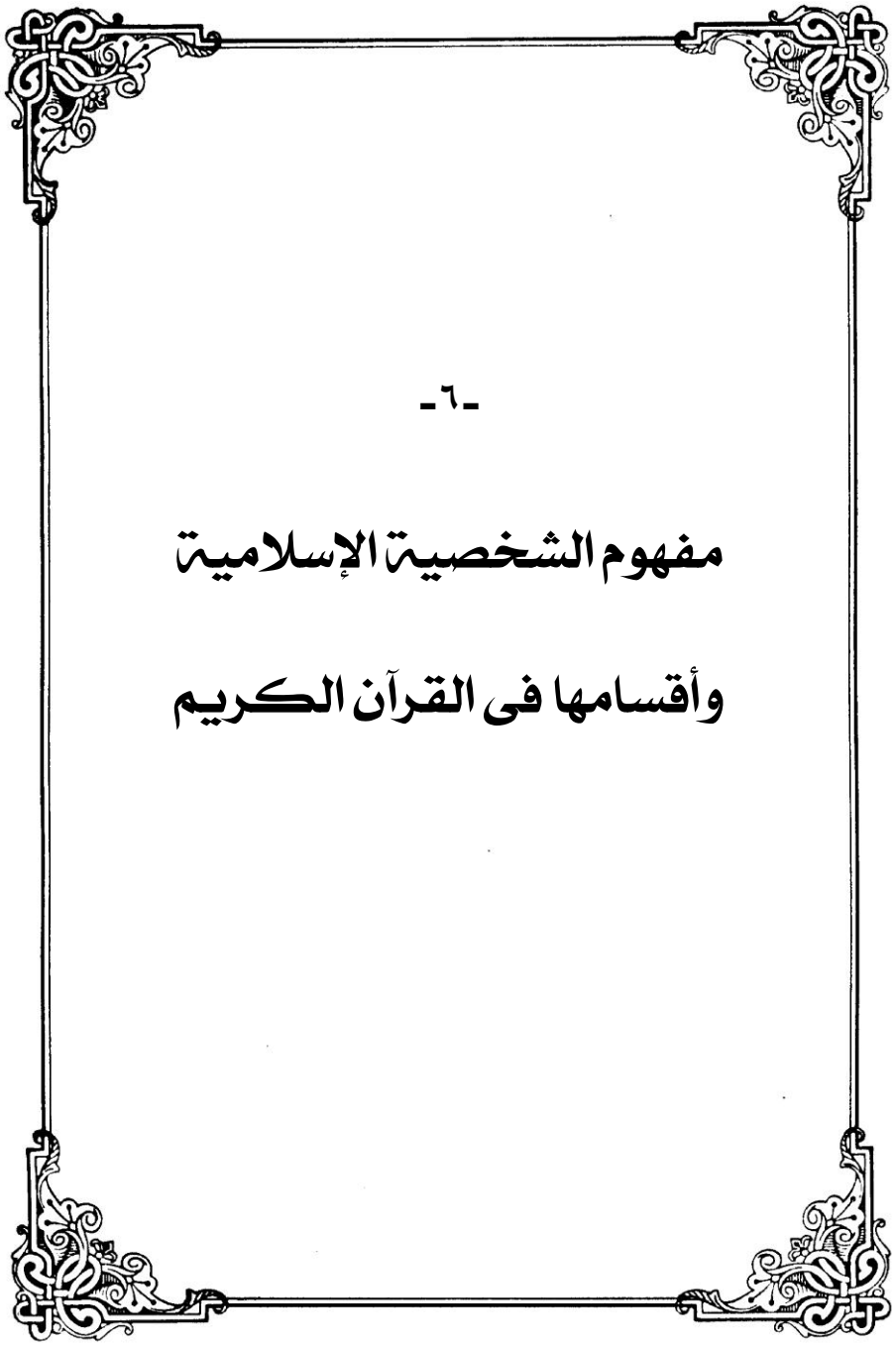

-٦-

مفهوم الشخصية الإسلامية

وأقسامها فى القرآن الكريم

مفهوم الشخصية الإسلامية وأقسامها

الإسلام بكلّ تشريعاته العبادية والإقتصادية والسياسية والاجتماعية يهدف ويسعى لخلق الشخصية الإسلامية المتكاملة في الفكر والسلوك والقول، وحينما نتحدّث عن الشخصية لابدّ لنا من التحدّث عن تعريفها وعن أقسامها وعن مقوّماتها وهي كما يلي:

أولا: تعريفها:

الشخصية لا يمكن تحديدها وتعريفها عن طريق الثروة والمال ولا عن طريق لبس اللّباس الجيّد الثمين ولا المركب الضخم؛ لأنّه قد لا يقال للشخص الذي يملك الملايين أنّه من ذوي الشخصية لأنّه يتميّز بسلوك الحقارة والدناءة، وقد يقال ويصطلح على إنسان فقير أنّه يتمتّع بشخصية متميّزة بسلوكه الخير وعمله الطيّب، ولا تتحقّق الشخصية أيضاً بلبس اللّباس الجيّد الثمين، فقد يكون إنسان لا يملك الزي الثمين الجيّد مع أنّه يتمتّع بشخصية جيّدة؛ فالشخصية ـ إذاً ـ يمكن تعريفها وتحديدها.

هو أن يتخّذ الإنسان موقفاً موحّداً في الفكر والقول والعمل.

فإذا حصلت في الإنسان هذه الشروط فإنّه يتمتّع بشخصية ويقال: إنّه ذات شخصية ملتزمة، وبهذا اللّقاح الثلاثي تخلق الشخصية ويمكن تحديدها وتعريفها، والإنسان صاحب هذه الشخصية هو الذي يتّخذ موقفاً موحّداً في

الفكر والقول والعمل.

ثانيا: أصنافها:

يمكن تقسيم الشخصية إلى أصناف أربعة وهي كما يلي:

١ . الشخصية المعاندة:

وهي التي تتّخذ موقفاً معادياً للحقّ الصراح في الفكر والقول والعمل، وهذا الموقف المعادي ينشأ غالباً من عاملين:

أ ـ العامل العقائدي: وهو أن يتّخذ الإنسان فكراً مغايراً ومعانداً للحقّ عن طريق القناعة والاعتقاد، وبهذا اللّون من التفكير تنشأ العقيدة ممّا تدفعه للوقوف بوجه الحقّ ومعاندة الحقيقة من أمثال أصحاب بعض الأديان السماوية والأديان الأرضية كالبوذية والهندوكية والسيخية أو الأحزاب الفكرية الأُخرى التي تقوم على قاعدة فكرية من أمثال الأحزاب الماركسية والرأسمالية أو المذاهب المصطنعة التي صنعها الاستعمار لأهدافه وغايته ولعبه، وذلك من أجل تمزيق وتفريق وحدة المسلمين ومن ثمّ ضرب الإسلام من أمثال البهائية والوهّابية والقاديانية.

وهذا اللّون من الوقوف بوجه الحقّ كان في بداية عصر الدعوة الإسلامية من أمثال الذين وقفوا في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله أو الذين حاربوا الإمام عليّاً عليه السلام في حرب النهروان ووقفوا في وجهه إلى يومنا الحاضر، فإنّنا نرى كلّ هؤلاء يقفون ويتّخذون موقفاً ضدّ الحقّ وأتباعه وأنصاره نتيجة اعتقادات زائفة وأفكار بالية وأوهام خرافية.

ب ـ العامل المادّي: فإنّ كثيراً من الذين وقفوا في وجه الحقّ ورجاله على امتداد التاريخ كانت مواقفهم بدواقع مادّية ومصالح دنيوية ووظائف زمنية ومناصب معيّنة فنراهم يتسابقون في محاربة الرسالات الإلهية ورجالاتها، كما حدث لكثير من أنبياء الله ورسله وأوصيائه وخلفائه، كما فعل نمرود في مقابل نبي الله إبراهيم عليه السلام، وكما وقف فرعون أمام نبي الله موسى عليه السلام، وكما وقف أبو جهل وأبو سفيان وأبو لهب أمام رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكما حاربوا عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام في حربي الجمل وصفّين وكما قاتلوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه وحبيب قلبه الحسين بن فاطمة وعلي عليهما السلام في يوم عاشوراء من أمثال عبيدالله بن زياد وعمر بن سعد وحزبهما وقد صرّح عمر بن سعد بدوافعه المادّية وذلك حينما وعده عبيدالله بن زياد بإعطائه ولاية الري في مقابل قتل الحسين فبقي عمر بن سعد قلقاً مضطرباً فإنّه اختار الدنيا ومطامعها وسُمع ينشد هذه الأبيات:

فوالله ما أدري وإنّي لحائر أُفكّر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري رغبتي أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرّة عيني[1]

أو من أمثال سنان بن أنس النخعي الذي جاء برأس الحسين وهو يطلب الجائزة من أميره عمر بن سعد وهو يقول:

---

(١) أُنظر تفصيل ذلك في الكامل لابن الأثير: ج٤ ص٥٣ طبع بيروت.

أوقـر ركـابي فضّـة وذهبـا إنّـــي قتلـــت الســـيّد المحجّبـــا
قتلـت خيـر النـاس أُمّـا وأبـا وخيـــرهم إذ ينســـبون نســـبا[1]

فإنّا قد رأينا هؤلاء كيف يقفون بوجه الحقّ ورجاله وكيف حاربوهم أعنف محاربة وأشدّ قتال من أجل الدنيا ومصالحها ومنافعها وشهواتها.

فالباحث والدارس لأتباع هذا القسم من الشخصية يجدهم يتقمّصون روح العناد واللّجاج والسعي المتواصل للوقوف بوجه الحقّ بدوافع عقائدية ومادّية وهم على امتداد التاريخ نراهم يقفون معاندين للرسالات الربّانية ولحملتها ودعاتها وقد وصف القرآن الكريم هذا الصنف في آيات بيّنات من كتابه حيث قال:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾

إلى أن يقول نوح عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾[2].

فنحن نرى بوضوح روح العناد والتحدّي في هذه الآيات القرآنية من أتباع هذه الشخصية وهي لا تختصّ بقوم نوح فقط وإنّما هي نموذج لروح العناد على

(١) أُنظر تفصيل ذلك التاريخ الكامل لابن الأثير: ج٤ ص٧٩ طبع دار صادر، والطبري: ج٤ ص٢٩٣.
(٢) سورة نوح، الآية: ١ ـ ٩.

مرّ السنين؛ ولهذا نصطلح على أتباع هذا الصنف بالشخصية المعاندة.

٢ . الشخصية المضطربة:

ونعني بها الشخصية التي لم تلتزم بخط معيّن ولا فكر وليس لديها عمل وقول ثابت فهي تتكيّف مع الظروف والأحوال فإذا كان المناخ الإيماني هو الذي يسيطر على الساحة والمجتمع كانت مع الإيمان وإذا سيطر الجو اللاّ إيماني على المجتمع والفرد نراها في طليعة أهل الفسق والفجور، فهذه الشخصية تلعب بها الأحوال والأجواء؛ لأنّ ليس لديها مناعة قائمة على أساس الفكر والسلوك تمنعها من التكيّف مع المحيط والتأثّر بالأجواء وإنّ جلّ المشاكل في كلّ العصور من أتباع هذه الشخصية ولاسيّما في عالمنا الإسلامي، فكلّ خطوط الإنحراف جاءت على أكتاف هذه الشخصية، فما قتل الحسين إلاّ من قبل أتباع هذه الشخصية واستغلالها من قبل الحزب الأُموي وهكذا قل في كلّ الإنحرافات التي تسيطر على بلادنا منذ القدم وحتّى يومنا هذا الذي نعاصره ونعيشه، ولهذا فقد رأينا سيطرة قوى الإنحراف من الماركسية والرأسمالية والعفلقية الحاقدة وكيف أنّها حكمت بلادنا في فترات وحقب زمنية بالحديد والنار وقتلت الأُلوف من الأبرياء من العلماء وغيرهم من المفكّرين والمؤمنين كالمرجع الشهيد الصدر قدس سره وغيره، وما فعلت كلّ ذلك إلاّ بواسطة أتباع هذه الشخصية التي وصفها أمير المؤمنين وسيّد المجاهدين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله:

«وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم

ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[١].

وقد عبّر عنهم أبو الشهداء الإمام الحسين بقوله:

«**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محصّوا بالبلاء قلّ الديّانون**»[٢].

وقد صوّر هذه الشخصية القرآن الكريم في آيات بيّنات من كتابه بأجمل تصوير وأروع تعبير حيث قال:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾

إلى أن تقول الآية الكريمة في هذا الصنف:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧.

(٢) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين: ص١١٨.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[١].

ويستمرّ القرآن الكريم في وصف هؤلاء بقوله:

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾[٢].

وقد ذكر تاريخ الكامل لابن الأثير نماذج من عقلية هؤلاء في واقعة اليرموك الحرب التي حدثت بين المسلمين والروم مسنداً ذلك لعبدالله بن الزبير وإليك نصّ حديثه.

قال عبدالله بن الزبير: كنت مع أبي باليرموك وأنا صبي لا أُقاتل فلمّا اقتتل الناس نظرت إلى ناسٍ على تل لا يقاتلون، فركبت وذهبت إليهم وإذا أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح فرأوني حدثاً فلم يتّقوني، قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الروم يقولون: إيه بني الأصفر، فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون قال: ويح بني الأصفر، فلمّا هزم الله الروم أخبرتُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٨ ـ ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤١ ـ ١٤٣.

أبي فضحك فقال: قاتلهم الله! أبو إلاّ ضغناً، لنحن خير لهم من الروم[١].

٣. الشخصية التبعيضية:

ونعني بها هي الشخصية التي تؤمن ببعض وتكفر بالبعض الآخر فهي تؤمن بالأحكام والقوانين التي تؤمّن مصالحها وأطماعها وأحلامها وترفض الأُمور والأحكام التي لا تحقّق رغباتها وشهواتها، وهي كانت ولا تزال إلى يومنا الحاضر لها أتباع وأنصار فكثير من الذين يتظاهرون بالإسلام اسماً يأخذون منه ما يؤمّن مصالحهم ويحقّق رغباتهم وشهواتهم كما عليه اليوم الكثير من الدول التي تنتمي للإسلام فإنّها تتظاهر بالإسلام إذا حقّق رغباتها وأحلامها وإن خالف مصالحها فإنّها تضرب به عرض الحائط وتشنّ الحملات عليه وعلى رجاله، كما فعل معاوية وابنه يزيد وكما يفعل اليوم بعض حكّام هذه الدول التي تنتمي للإسلام اسماً.

ولكنّنا نقول: إنّ الإسلام وحدة متكاملة بكلّ أحكامه من عبادته ومعاملاته وسياسته واقتصاده واجتماعياته فلا يجوز التفكيك والتبعيض بين أحكامه فالإنسان الذي يؤمن بالاقتصاد الإسلامي ولا يؤمن بالعبادات ولا يلتزم بأدائها هو من أتباع هذه الشخصية والذي يؤمن بسياسة الإسلام واقتصاده ولا يؤدّي أوامره ولا يجتنب نواهيه هو أيضاً من أتباع هذه الشخصية والذي يلتزم بالأُمور العبادية في الإسلام ولا يتّبع ولا يؤمن بسياسته واقتصاده، فهو أيضاً يحمل روح الشخصية التبعيضية، فالإسلام وحدة متكاملة يشدّ بعضه بعضاً ولا يعطي نتاجه المطلوب وعطائه المثمر إلاّ إذا التزم بتطبيقه حرفياً ولنضرب لذلك مثالاً

---

(١) أُنظر الكامل لابن الأثير: ج٢ ص٤١٤ طبع بيروت دار صادر.

توضيحياً، الإسلام يشبه السيّارة التي إذا عطب جزء صغير منها، فالسيارة إمّا أن تتوقّف أو تسير سيراً بطيئاً متلكّئاً فكذا الإسلام إذا لم يلتزم بكلّ أحكامه ولم يطبّق بحذافيره فلا يعطي الإيمان المتكامل ولا الروحية المؤثّرة التي تشعّ على نفس الإنسان وعلى الآخرين.

وقد وصف القرآن الكريم أتباع هذه الشخصية في عديد من آياته حيث قال مخاطباً أتباعها بقوله:

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[1].

ثمّ عبّر القرآن الكريم عنهم أيضاً في آية أُخرى بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٠ ـ ١٥١.

وبهذه النماذج التي ذكرتها لكم، يتّضح لنا معالم هذه الشخصية التبعيضية التي يرفضها الإسلام كما رفض الشخصيتين المتقدّمتين التي ذكرت نماذج منهما.

٤ . الشخصية المستقيمة:

ونعني بها الشخصية الإسلامية الهادفة التي تسير على منهج واحد في الحياة، فهي هادفة في كلّ ظروف الحياة، هادفة في أيّام السلم وهادفة في أيّام الحرب وهادفة في السفر والحضر؛ لأنّها تعيش لعقيدتها وإيمانها وتسخّر جميع طاقتها في سبيل إيمانها وعقيدتها لا تزحزحها العواصف ولا تُزلّ أقدامها السيول الجارفة، فهي مستقيمة في إيمانها هادفة في نظرتها السياسية وهادفة في نظرتها الاقتصادية وهادفة في نظرتها الفكرية والاجتماعية، ورجال هذه الشخصية هم حملة الرسالة وأتباع نهج الحقّ المبين الذين يسلكون الجادّة الوسطى التي عليها أُمّ الكتاب، وهم الذين يقفون إلى جانب الحقّ ويدافعون عنه بكلّ إخلاص وتفاني في كلّ عصر ومصر إلى يومنا هذا، فترى فتيان الحقّ وفرسان الهيجاء كيف يتفانون في سبيل المبدأ والعقيدة فهم ينظرون إلى الحياة وسيلة لا غاية وقد جعلوها جسراً لدينهم وشتّان بين من يجعل الدنيا جسراً لدينه وبين من يجعل الدين جسراً لدنياه، فأُولئك رجال الحقّ والمبدأ من أمثال عمّار بن ياسر وأبي ذرّ الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد ومالك الأشتر وميثم التمّار وزهير وبرير وحبيب بن مظاهر وعابس وشهيد عصرنا المرجع الشهيد الصدر ونظائرهم الذين دافعوا عن رسالتهم وعقيدتهم وجعلوا قلوبهم درعاً أمام دروعهم ونزلوا إلى الميدان مدافعين وباذلين الأنفس من أجل الله تعالى وشرعته السامية، وقد عبّر الشاعر عن هؤلاء الذوات بقوله:

قوم إذا نودوا لدفع كريهة والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفس[١]

فالإنسان المؤمن الهادف لا يبالي أهو وقع على الموت أم وقع الموت عليه، كما قال الشاعر:

ولست أُبالي حين أُقتل مسلماً

في أي جنب كان في الله مصرعي[٢]

وكلّ ذلك ناشئ عن الاستقامة الإيمانية، ولهذا نرى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حينما يقول لعلي عليه السلام بعد أن سأله عن سبب بكائه قال:

«**يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور رجال عليك، لن يبدوها لك، للأمر بعدي، فقلت: بسلامة من ديني؟ قال: نعم بسلامة من دينك**»[٣].

وهذا حفيده: علي الأكبر نجل الحسين عليه السلام، حينما كان مع أبيه في مسيره إلى كربلاء للدفاع عن الحقّ وإذا بالحسين تأخذه سنة نوم فيفيق مسترجعاً قائلاً: **إنّا للهّ وإنّا إليه راجعون**.

فسأله ولده علي الأكبر عليه السلام: يا أبه الاسترجاع حسن ولكن ما السبب؟ فقال له الحسين عليه السلام يابني سمعت هاتفاً يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير معهم.

فقال له ولده علي الأكبر: يا أبه: أَوَلسنا على الحقّ؟ فقال له الحسين: **إي وربّ الكعبة**.

---

(١) عمدة الطالب لابن عينة: ٣٥٧.

(٢) بحار الانوار: ٢٠ / ١٥٣.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٢، ص٣٩٤.

فأجابه علي الأكبر بقوله: إذن لا نبالي سواء وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا.

وقد صوّر القرآن الكريم أتباع هذه الشخصية بأجمل تعبير من حيث الاستقامة والثبات على المبدأ والعقيدة حيث قال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

فبهذه الشخصية تزكو نفوسنا وتسمو أفكارنا وأعمالنا ونكون من الصادقين.

(١) سورة فصّلت، الآية: ٣٠ ـ ٣٣.

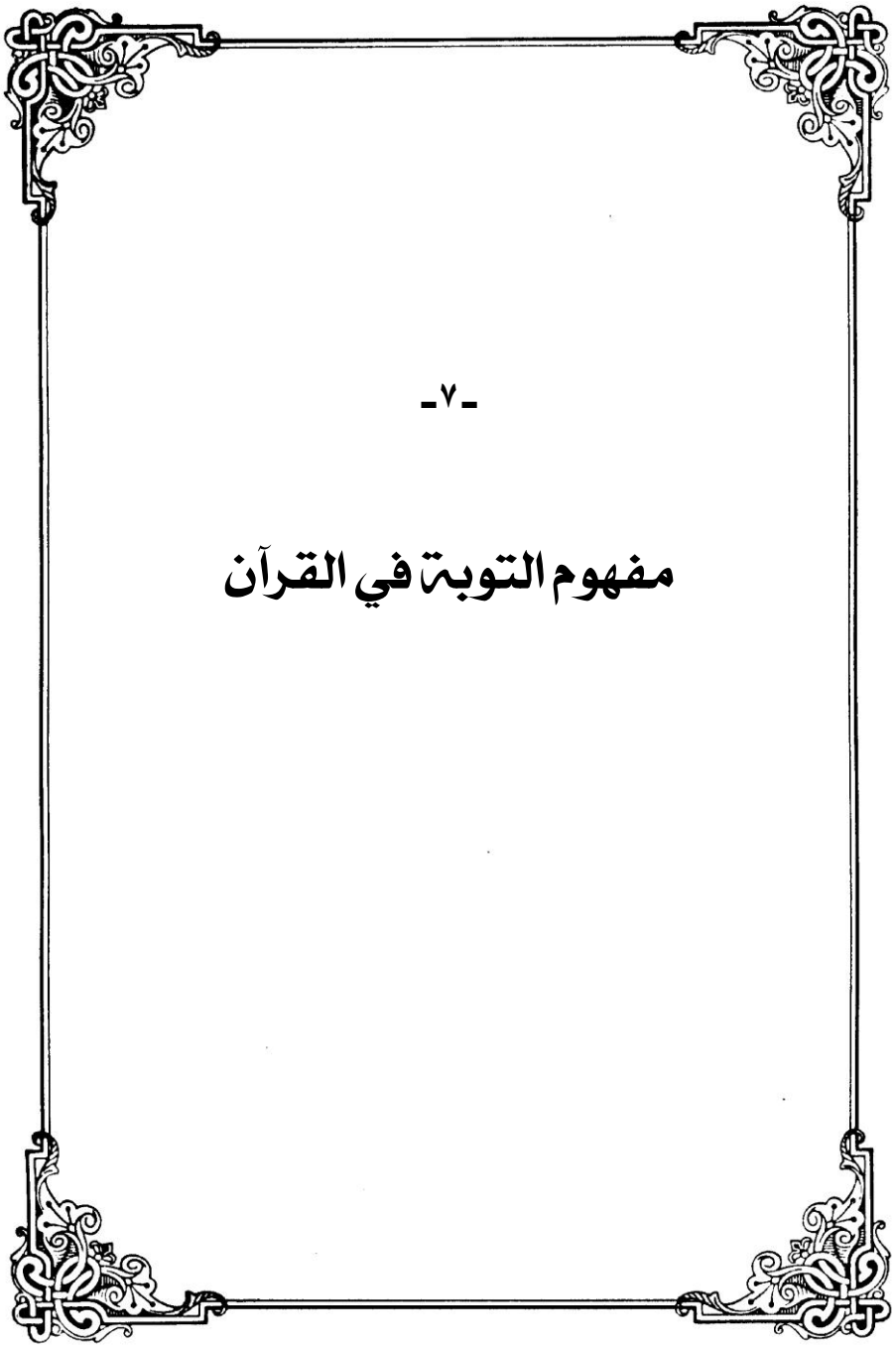

-٧-

مفهوم التوبة في القرآن

مفهوم التوبة في الإسلام

التوبة في اللغة:

وهي الرجوع عن الذنب وإسقاطه عن الإنسان والتائب هو الراجع إلى الله تعالى؛ لأنّه تائب من الذنب، والتوّاب هو الله الرحمن الرحيم المحسن الغافر الغفور.

التوبة في الاصطلاح:

هي الندم عمّا صدر من الإنسان من المعاصي والذنوب فهي بمثابة حمّام وورشة غسيل يدخل إليها الإنسان الملوّث بالذنوب والمعاصي فيخرج منها طاهراً ومبرّءاً ونظيفاً من كلّ تلكم الذنوب والمعاصي، كما روي في الحديث:

«**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[1].

فهنا عدّة معاني نستفيد منها:

أ ـ التوبة: وهي كما قلنا: الرجوع عن الذنب وإسقاطه عن الإنسان.

ب ـ التائب: هو الإنسان الراجع إلى الله تعالى؛ لأنّه تائب من الذنب والله تعهّد بقبول توبته والعفو عن الذنب إذا كان بين الإنسان وخالقه.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٦/ ٧٤.

ج ـ التوّاب: هو الله الرحمن الرحيم المحسن الغفور الودود الغافر عن الذنب القابل من الإنسان التائب توبته والغافر زلّته، فإذا توفّرت شروط التوبة فالله بموجب إحسانه ورحمته فإنّه يتوب على الإنسان التائب بالوجوب العقلي والرحمتي بخلاف ما عليه المعتزلة والأشاعرة، وذلك كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

التوبة ومنزلتها عند الله

الإنسان التائب له مقام عظيم ومنزلة كبيرة عند الله ممّا توجب محبّة الله له وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2].

وروي عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[3].

التوبة في القرآن الكريم

هناك كثير من الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن التوبة والتائب والتوّاب ما يقارب عددها (٨٦) آية، ونختار بعضها وهي كما يلي:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٣) أُنظر ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤١.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١).

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (٢).

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (٤).

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ (٥).

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ (٦).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧).

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ (٨).

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩).

﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (١٠).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٠.

(٥) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٦) سورة القصص، الآية: ٦٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

(٨) سورة التوبة، الآية: ١١.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(١٠) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾[١].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٢].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾[٣].

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤].

التوبة في السنة الشريفة:

قد وردت التوبة في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة وإليك ما يلي:

١ ـ إنّ كلّ بني آدم خطاء وخير الخطّائين التوّابون[٥].

٢ ـ الله يفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد[٦].

٣ ـ توبوا إلى الله عزّ وجلّ وادخلوا في محبّته، فإنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين، ويحبّ المؤمن التوّاب[٧].

٤ ـ توبوا إلى الله فإنّي أتوب إلى الله في كلّ يوم مئة مرّة[٨].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٥) تفسير الدرّ المنثور: ج١ ص٢٦١.

(٦) كنز العمّال: ح١٠١٦٥.

(٧) بحار الأنوار: ج٦ ص٢١.

(٨) كنز العمّال: ح١٠١٧١.

٥ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله: **أمّا علامة التائب فأربعة: النصيحة لله في عمله وترك الباطل ولزوم الحقّ والحرص على الخير**[١].

٦ ـ عن علي أمير المؤمنين عليه السلام في وصف التائبين: **غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم، وقلوبهم، وسقوها بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة، وأعقبهم الرضا والكرامة**[٢].

٧ ـ عن الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته: **واجعلنا من الذين غرسوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها من ماء التوبة حتّى أثمرت لهم ثمرة الندامة، فأطلعتهم على ستور خفيّات العلى وآمنتهم المخاوف والأحزان فأبصروا جسيم الفطنة ولبسوا ثوب الخدمة**[٣].

٨ ـ عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: **التنزّه عن معاصي الله عبادة التوّابين**[٤].

٩ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: **التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولابدّ للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال، وكلّ فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء عليهم السلام من اضطراب السرّ، وتوبة الأصفياء من التنفّس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب**[٥].

١٠ ـ وعن الإمام زين العابدين عليه السلام في بعض مناجاته: **واجعلنا من الذين قطعوا أستار نار الشهوات بنضح ماء التوبة وغسلوا أوعية الجهل بصفو ماء**

---

(١) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٩.
(٢) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٢.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٢.
(٥) بحار الأنوار: ج٦ ص٣١.

الحياة[١].

١١ـ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: **استرجع سالف الذنوب بشدّة الندم وكثرة الاستغفار**[٢].

١٢ـ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: **لا والله ما أراد الله من عباده من الناس إلاّ خصلتين: أن يقرّوا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم بالتوبة**[٣].

١٣ـ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

التوبة على أربعة دعائم:

أ ـ الندم بالقلب.

ب ـ واستغفار باللّسان.

ج ـ وعمل بالجوارح.

د ـ وعزم على أن لا يعود[٤].

١٤ ـ عن الباقر عليه السلام قال: **التائب إذا لم يستبن أثر التوبة فليس بتائب: يرضي الخصماء، ويعيد الصلوات، ويتواضع بين الخلق، ويتّقي نفسه عن الشهوات، ويهزل رقبته بصيام النهار**[٥].

١٥ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة. فقيل له: وكيف يستر عليه؟ قال** عليه السلام: **ينسي**

---

(١) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٣.

(٢) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٦.

(٣) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٧.

(٤) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٨.

(٥) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٤٨.

ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب... فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب[١].

مراحل التوبة وعناصرها:

للتوبة مراحل إذا مرّ بها الإنسان تحقّقت توبته واكتسب بها منزلة التائب وهي محبّة الله له وهي كما يلي:

آ . ترك الزلة والمعصية فورا

فإذا كان الإنسان متلبّساً بالمعصية وأدركته التوبة فيجب عليه أن يتركها فوراً.

ب . الندم على ما فعله

الندم على ما فعله وما ارتكب من الذنوب والمعاصي سابقاً وتصبح عنده ملكة الندم.

ج . العزم والتصميم

العزم والتصميم على عدم ارتكاب المعصية والعودة إلى الجريمة والمعصية.

د . تصفية حساباته المالية

تصفية حساباته المالية التي هي للآخرين من دين أو سرقة أو غصب أو أمانة أو خمس وزكاة وغيرها إذا كانت في ذمّته أو استغاب مؤمناً أو افترى عليه

---

(١) ميزان الحكمة: ج١ ص٥٥٥.

فلابدّ من طلب الحلّية والإرضاء وهذا ما أكّد عليه حديث رقم ١٢ و١٣ من عنوان التوبة في السنّة النبوية.

وهذه المراحل لا تتحقّق عند الإنسان التائب إلاّ إذا أضمر وصمّم في قلبه العزم والتصميم على ذلك وفي هذه الحالة تحصل التوبة الداخلية للإنسان، والتائب هو الذي يجتاز هذه المراحل ويمرّ بها بأمن وسلام بعيداً عن الذنب ورواسبه وعازماً على عدم العودة إليه كما فعل ذلك الشاب الذي عاش ليلة حمراء مع عشيقته على الزنا ومائدة الخمر والفسق والفجور إلى أذان الفجر وإذا به يسمع المؤذّن يقول: الله أكبر، فترتعد فرائصه وتهتزّ أعضاؤه، ويسود قلبه الخشوع لله والخوف من عقابه لأنّ الله أكبر من كلّ شيء، فيفيق من نومته وغفلته فتدركه صحوة الضمير قائلاً له: كيف تعصي الله وهو أكبر من كلّ شيء وأقدر وأنت الإنسان الضعيف تعصيه وتنبذ أوامره وبهذه الصحوة يتوب توبة نصوحة من وقته ويتّجه نحو الله بكلّه ويجتاز هذه المراحل بعافية وأمان فأحبّ الله بتوبته فأحببه الله لأنّه من التوّابين والله يحبّ التوابّين والمتطهّرين.

ومن هذا البحث نستكشف أنّ التوبة تحتوي على حالتين:

الاولى: الحالة الارضائية

فإنّها تحتاج إلى حلّية من صاحبها كمن أخذ مالاً من أحد سرقةً أو غصباً أو دَيناً أو ما شابه ذلك، فلابدّ من ردّ المال إلى صاحبه أو استرضائه وطلب الحلّية منه، أو استغاب أحداً أو افترى عليه فلابدّ من إرضائه، فعندها تتحقّق التوبة ولا تحصل التوبة بدون ذلك.

الثانية: الحالة الندمية

وهي أن تصبح عند الإنسان التائب حالة الرفض والعزم والتصميم والإصرار على عدم العودة إلى الذنب وعدم الوقوع في المعصية. وتسمّى هذه الحالة بحالة الرفض للذنب والمعصية والندم على ما صدر منه.

فإذا توفّرت هذه الحالات عند الإنسان تتحقّق عنده حالة التوبة وصار من التائبين الذين يحبّهم الله وعناهم بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾

وهنا عدّة تساؤلات في هذه الآية الكريمة:

أوّلاً: لماذا قدّم الله التوّابين على المتطهّرين في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾

والجواب على ذلك أنّ في الإسلام:

آ ـ الطهارة والنظافة القلبية وهي نابعة من القلب وتابعة له.

ب ـ الطهارة والنظافة الخارجية، وهي نظافة الجسم والملابس وهما يعبّران عن ظاهر الإنسان، إلاّ أنّ النظافة القلبية لها أهميّة خاصّة لأنّها تضبط سلوك الإنسان وتحفظه من الانحراف والمعصية وتسيطر على سلوكه الخارجي، بينما النظافة الخارجية تعني بنظافة المظهر من الملبس والجسم للإنسان ولا تسيطر على القلب ولا على نظافته ونزاهته الداخلية، فكم من إنسان نظيف في ملبسه ومظهره ولكنّه شرير في عمله وشاذّ في تصرّفاته؛ لأنّ قلبه غير نظيف ولم تغسله وتطهّره التوبة، والإسلام يهتمّ بنظافة وطهارة الداخل والخارج والذي يهتمّ بهذين المظهرين الداخلي والخارجي فإنّه يكون محبوبا لله تعالى، ولهذا عناه في كتابه القويم بقوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

ثانياً: السؤال: لماذا خلق الله الإنسان وجعل لديه الاستعداد للمعصية؟

الجواب على ذلك: إنّ الله جعل لكلّ مخلوق من مخلوقاته خاصّية به، فكلّ نوع من أنواع مخلوقاته وفصيلة من فصائلها، لها امتياز خاصّ بها تمتاز عن غيرها، فنوعية الإنسان وخاصّيته تحتاج إلى الازدواجية والاثنينة في الغرائز والخلقة فلهذا زوّد الإنسان بعدّة غرائز كغريزة الجوع والعطش وحبّ الذات والجنس مقرونة بغريزة الإيمان والعقل فإذا سيطرت هذه الغرائز على إيمانه وعقله وغلبت شهواته على عقله صار كالحيوان وإذا سيطر عقله وإيمانه على بقية الغرائز صار ملاك في الأرض بل أفضل من الملائكة ولهذا اختار الله رسله وخلفائه من هذا الصنف وجعله خليفة في الأرض حيث قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وبهذه الخاصّية امتاز الإنسان على سائر المخلوقات، فكما أنّ النار خلقت لتكون حارّة وحارقة فإذا كانت باردة لا تسمّى ناراً، وكذلك الثلج خلق بارداً فلو صار حارّاً لا يسمّى ثلجاً فكذلك جنس الإنسان وخلقته فهو بحاجة ماسّة إلى هذه الزوجية من التلوّن في الميول والغرائز؛ لأنّ إعمار الأرض لا يكون إلاّ بها، فلولا غريزة الجوع وحبّ الذات والطمع لما خرج الإنسان من بيته في الشتاء القارص ولا في الصيف القائض للعمل والإعمار، ولكن هذه الغرائز هي التي تدفعه إلى العمل والنشاط حتّى تستمرّ الحياة وتعمر الأرض؛ لأنّ الله يريد

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

إعمارها وبناءها فلهذا وغيره خلق الإنسان وزوّده بهذه الغرائز، ومن هذه الزوجية قد يصدر من الإنسان الخطأ والمعصية، ثمّ يثوب إلى رشده وصوابه وعقله ويندم، ففتح الله له باب التوبة ولم يغلقها في وجهه وأحبّ أن يرى عبده تائباً نادماً بقوله: إنّ الله يحبّ التوابين.

ثالثاً: ومن هنا يظهر لنا ضحالة هذا السؤال القائل: لماذا خلق الله الإنسان وجعل لديه الاستعداد للمعصية؟ وعدم جدواه وفائدته؛ لأنّه يصبح سؤالاً عن كلّ شيء، أفيقال مثلاً: لماذا خلق الله البحار؛ لأنّه قد يتّفق غرق بعض السفن وبعض الناس فيه فينبغي إزالة البحار وإعدامها حتّى لا يغرق البعض فيها... !؟ أو السؤال: لماذا اخترع أديسون الكهرباء؟ لأنّ بعض الناس قد يموتون بسبب التيار الكهربائي فينبغي أن نستغني عنه!؟ أو يقال سؤال: لماذا اخترعت السيارة والطائرة؟ لأنّه قد تسقط الطائرة وتنقلب أو تصطدم السيارة فيموت العشرات والمئات من الناس..!؟ فينبغي أن نستغني عنهما؟ أو السؤال: لماذ تفتح المدارس؟ لأنّ بعض الطلاّب قد يرسبون فيها ولا ينجحون؟! فينبغي أن تغلق المدارس حتّى لا يرسب فيها أحداً، وهكذا قُل في كلّ شيء، فيصبح هذا السؤال واهياً لا قيمة له ولا اعتبار ولا يعتدّ به.

رابعاً: إنّ الله سبحانه وتعالى لم يهمل الإنسان ويتركه عبثاً؛ بل بعث إليه الرسل والأنبياء والأصفياء والأئمّة والعلماء مبلّغين ومبشّرين حتّى لا تكون للإنسان المعذورية من عدم تبليغه وإعلامه بالأحكام الإلهية، لأنّ الله سبحانه قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

المصادر

* القرآن الكريم.
* نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام.
١. بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي.
٢. تاريخ الطبري.
٣. تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي.
٤. الكامل في التاريخ لابن الأثير، طبع دار الصادر، بيروت.
٥. كنز العمال للمتقي الهندي.
٦. مطالب السؤول.
٧. مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.
٨. مقتل الخوارزمي.
٩. ميزان الحكمة.
١٠. الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحسيني القزويني.

فهرست المحتويات

تمهيد: ٧

المدارس في تزكية النفس ونظرياتها

الأولى: النظرية المادية ١١

نقدها ١٢

الثانية: النظرية الصوفية المحضة ١٣

الثالث: النظرية الإسلامية للحياة ١٥

كيف نبتعد عن المعصية؟

عوامل تفشي هذه الأمراض ٢١

ما هو علاج الأمراض؟ ٢٢

كيف يستطيع الإنسان أن يتجنب المعاصي والجرائم؟ ٢٤

أولا: المسجل الرباني ٢٥

ثانيا: العقل الإلكتروني المحصي لأعمال الإنسان ٢٥

ثالثا: التلفزيون الرباني ٢٧

رابعا: شهادة الأعضاء على الإنسان ٢٨

خامسا: الأرض تشهد بوقوع المعصية ٢٩

عوامل تقوية الإيمان

أولا: الوعي الفكري ويقابله الغباء الفكري ٣٣

الغباء الفكري ٣٤

ثانيا: الوعي السياسي ويقابله الغباء السياسي ٣٦

كيفية تحقق هذا الوعي ٣٦

الغباء السياسي ٣٧

ثالثا: الوعي الاجتماعي ويقابله الغباء الاجتماعي..... ٤٢
الغباء الاجتماعي ٤٣
رابعا: الوعي الإيماني ويقابله الغباء الإيماني ٤٤
التغذية الإيمانية..... ٤٥
الغباء الإيماني ٤٧

مراحل الاعتقاد وتزكيته

الإنسان المسلم ومراحل نمو اعتقاده. ٥١
المرحلة الأولى: وهي الإسلام ٥١
خصائص هذه المرحلة: الحصانة..... ٥١
مخاطر هذه المرحلة ٥٢
المرحلة الثانية: الإيمان ٥٣
خصائص هذه المرحلة: المناعة الفكرية والعملية ٥٣
وسائل تغذية الإيمان..... ٥٤
المرحلة الثالثة: العشق الإلهي ٥٦
خصائص هذه المرحلة: (البذل والفداء)..... ٥٦

الزهد وأنواعه

أولا: تعريفه ٦٥
ثانيا: أنواعه ٦٥
أ. الزهد النفعي..... ٦٦
ب. الزهد التجريبي..... ٦٧
ج. الزهد الأبيقوري ٦٨
د. الزهد العقابي ٦٩
هـ. الزهد الدرويشي الصوفي ٧٠
و. الزهد الواقعي ٧٢

مفهوم الشخصية الإسلامية
وأقسامها فى القرآن الكريم

أولا تعريفها ٧٩
ثانيا أصنافها:..... ٨٠
١ . الشخصية المعاندة..... ٨٠
٢ . الشخصية المضطربة..... ٨٣
٣ . الشخصية التبعيضية..... ٨٦
٤ . الشخصية المستقيمة..... ٨٨

مفهوم التوبة في القرآن

التوبة في اللغة ٩٣
التوبة في الاصطلاح..... ٩٣
التوبة ومنزلتها عند الله ٩٤
التوبة في القرآن الكريم..... ٩٤
التوبة في السنة الشريفة..... ٩٦
مراحل التوبة وعناصرها ٩٩
آ . ترك الزلة والمعصية فورا ٩٩
ب . الندم على ما فعله ٩٩
ج . العزم والتصميم..... ٩٩
د . تصفية حساباته المالية..... ٩٩
الأولى: الحالة الارضائية..... ١٠٠
الثانية: الحالة الندمية ١٠١
المصادر ١٠٥
فهرست المحتويات ١٠٧